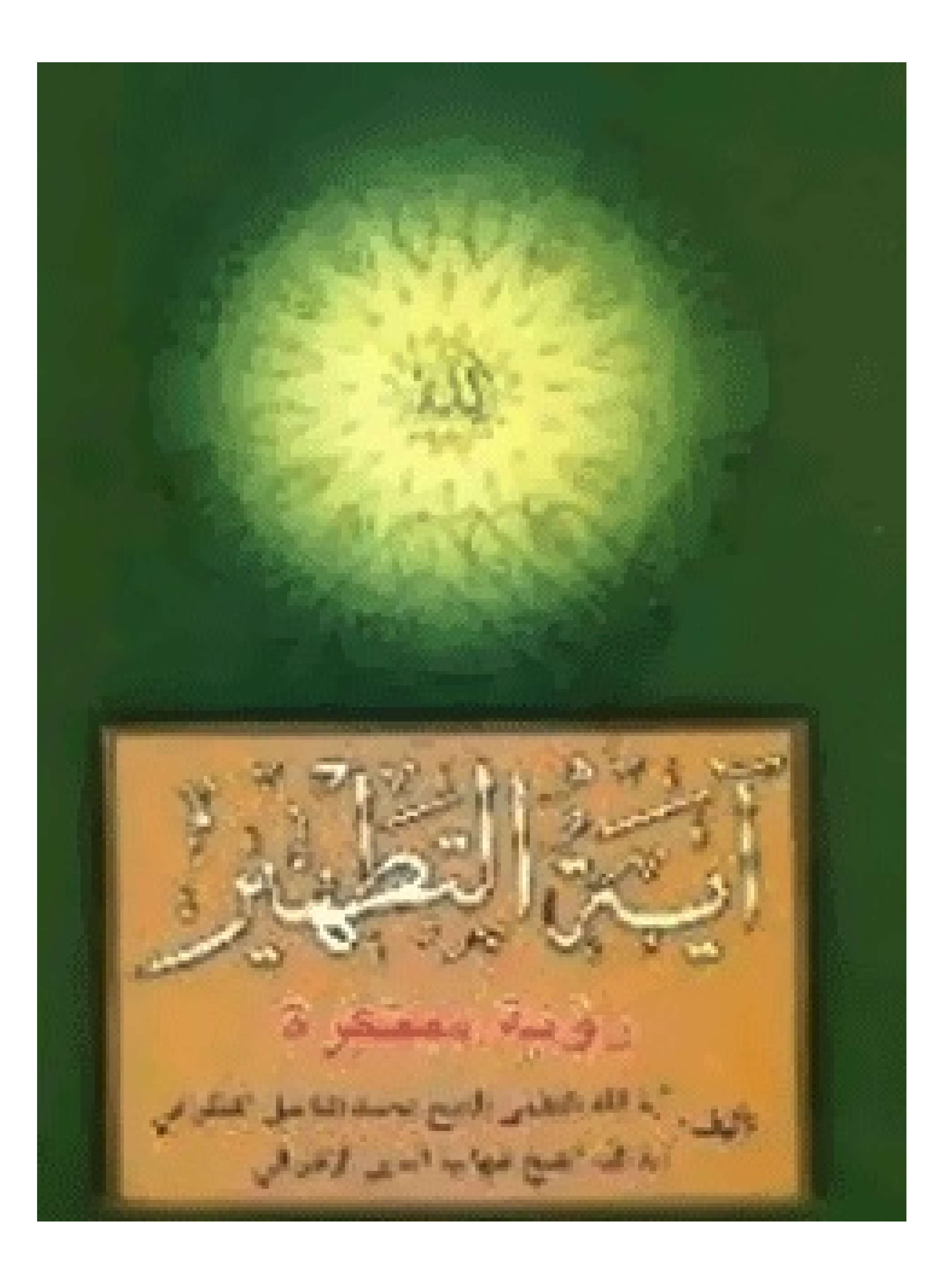

آية التطهير
رؤية مبتكرة


بسم الله الرحمن الرحیم

# آيه التطهير رويه مبتكره


كاتب:

محمد الفاضل اللنكرانى



نشرت فى الطباعة:

مركز فقه الائمه الاطهار عليهمالسلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

# آیه التطهیر رویه مبتکره

## اشارهٔ

سرشناسه : فاضل موحدی لنکرانی، محمد، - ۱۳۱۰ عنوان و نام پدیدآور : آیه التطهیر رویه مبتکره/ تالیف محمد الفاضل اللنکرانی، شهاب‌الدین الاشراقی؛ تحقیق مرکز فقه الائمه الاطهار(ع)؛ [ترجمه عباس نخعی] مشخصات نشر : [قم]: مرکز فقه الائمه الاطهار علیهم‌السلام، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹. مشخصات ظاهری : ص ۱۷۶ شابک : ۹۶۴-۹۲۳۰۹-۵-۵۵۰۰۰ریال وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : چاپ قبلی: للنشر و الدراسات الاسلامیه امام، ۱۳۷۳ یادداشت : عنوان اصلی: اهل البیت، یا، چهره‌های درخشان در آیه تطهیر. یادداشت : چاپ سوم: ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲: ۵۰۰۰ ریال یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : تفاسیر (سوره احزاب. آیه تطهیر) موضوع : خاندان نبوت موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴ شناسه افزوده : اشراقی، شهاب‌الدین شناسه افزوده : نخعی، عباس، مترجم شناسه افزوده : مرکز فقهی ائمه اطهار(ع) رده بندی کنگره : BP۱۰۲/۶۵۴/ف۲الف۹۰۴۳ ۱۳۷۹ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۸ شماره کتابشناسی ملی : م۷۹-۲۵۷۹۳

## پیش درآمد

[پیش درآمد] بسم اللَّه الرحمن الرحیم والصلاهٔ والسلام علی محمّد وآله الطیّبین الطاهرین واللعن الدائم علی أعدائهم من الأوّلین والآخرین فضلًا عن القیمهٔ العلمیهٔ والمحتوی الراقی لهذا الکتاب فإنّه یتزیّن بفضیلهٔ أخری، هی أنّه بقلم سماحهٔ آیهٔ اللَّه العظمی الشیخ الفاضل اللنکرانی حفظه اللَّه وأدام ظلّه علی رؤوس المسلمین... فکون الکاتب أحد مراجع التقلید العظام، فهذا یعنی أننا أمام نظرهٔ تخصّصیهٔ، واستظهارات من القرآن والسنّهٔ والتاریخ خضعت لممارسات علمیهٔ لا یعتریها شکّ ولا ینتابها تردید، إنّها معالجهٔ خبیر متخصّص ثنیت له الوسادهٔ فی الفقه والاصول ومختلف القواعد، التی تمکّنه من استظهار أعمق من الأدلّهٔ وانتزاع أصوب وأقرب إلی الواقع، واستیعاب أکبر للنصوص والمدارک، وبالتالی وقوف أدق علی الأفکار والمفاهیم والمعارف الإسلامیهٔ.... فَسْئَلْ بِهِ خَبِیراً.. «۱» ، وفی هذا قیمهٔ أخری تجعل القارئ یتناول هذه المادّهٔ باطمئنان أکثر لنقائها وسلامتها سواء للتلقّی أو المحاججهٔ، والأمر- فی هذا الإطار- ممّا شح آیهٔ التطهیر، ص: ۶ وقلّ وجوده فی عصرنا الحاضر الذی تشعّبت فیه الفروع الفقهیّهٔ، وتوسّعت أبواب ما یبتلی به الناس من مستحدثات المسائل، فلم تترک للعلماء متّسعاً فی الوقت یتعرّضون فیه لمباحث من قبیل ما انبری له الشیخ الفاضل حفظه اللَّه وصاحبه الشیخ الإشراقی تغمّده اللَّه بواسع رحمته. وقد أخذا هذا المنهج- تعرُّض الفقهاء المراجع لمباحث خارج إطار الدراسات الحوزویهٔ الطولیهٔ، أی الفقه والأصول ومتعلّقاتهما کالبحث والکتابهٔ فی التفسیر (غیر آیات الأحکام) والحدیث والکلام والفلسفهٔ والأخلاق، بل معالجهٔ عموم المتطلّبات المستجدّهٔ فی المجتمع الإسلامی التی تمسّ عقائد المسلمین وحرکتهم- أخذاه عن استاذهما الإمام الخمینی قدّس اللَّه نفسه الزکیهٔ (وممّا یجدر ذکره أنّ الشیخ شهاب الدین الإشراقی هو صهر الإمام) الذی لا تزال مؤلّفاته فی تلک الأبواب تثری المکتبهٔ الشیعیهٔ وتسدّ ثلمهٔ کبیرهٔ فیها، فقد فرّغ الإمام قدس سره نفسه فی إحدی المرّات لفترهٔ امتدّت أشهراً، معتزلًا البحث والتدریس الحوزوی، للردّ علی بعض الکتب التی مسّت أهل البیت علیهم السلام ونالت من العقیدهٔ الإسلامیهٔ الصحیحهٔ «۱». ونحن فی هذا العصر أشدّ ما نکون بحاجهٔ إلی کتابات ینهض بها متخصّصون من علماء الحوزهٔ ممّن نشأ فی أکناف علوم أهل البیت آیهٔ التطهیر، ص: ۷ وترعرع علی مائدهٔ آثارهم وتراثهم، ینهل من النبع الصافی ویتزوّد من معین لا ینضب، لتقطع الطریق علی الالتقاطیین الذین نُسبوا إلی الوعی والتنویر، وأخذوا یخوضون فی علوم یفتقرون إلی الإحاطهٔ بمبادئها وأوّلیاتها فضلًا عن التسلّط علی أصولها وناهیک عن الإبداع والاجتهاد فیها، فیشرّقون ویغرّبون، ویخلطون الغثَّ بالسمین وتُعرض سمومهم- عن قصد وغیر قصد- فی لفافات من الصیت والصخب الإعلامی، بطباعهٔ فاخرهٔ وأسماء رنّانهٔ صنعتها الصحف والمجلّات لا مقاعد التحصیل وکراسی

التدريس!... فينخدع بها البسطاء، ويأخذها المستضعفون من أيتام آل محمّد الذين حُجبوا عن لقاء إمامهم عليه السلام وحُرموا التزوّد منه والأخذ عنه، بينما الساحة تتطلّع لنتاج خالص هو الأقرب فالأقرب لما يريده ذاك المغيَّب صلوات اللّه عليه من فكر وعقيدة وموقف، وتتحرّق شوقاً لبصيص نور يشير إلى تلك الناحية المقدّسة، ولعمرى ما أراه سينبعث إلّامن نوّابه وأمنائه على رعيته «أولئك الذين نفروا حتّى بلغوا حقيقة التفقّه وأصبحوا منذرين صادقين لقومهم وشعبهم» «۱» ، بعيداً عن كدر المادية الجوفاء والتغريب الأخرق، والتلفيق الذى لا يُبقى للإسلام فيما يطرحه من الفكرة والمفهوم إلّا الاسم! فنسأل اللّه أن يكون هذا العمل طالع خير ويُمن، ويكون بمثابة قطر يتلوه غيث منهمر... وقد جاء أسلوب الكتاب مُبسَّطاً، متجنّباً المصطلحات والعبارات المعقّدة، مستأنساً بآراء علماء آخرين، مُقتصراً البحث على موضوعه- آية التطهير، ص: ۸ آية التطهير- دون إطالة وإسهاب مُمل أو تشعّب يُشتّت التركيز... ليكون سهل التناول على مختلف المستويات، ومن الواضح أنّ الكاتب تحاشا استعراض مقدرته العلمية، وعَزَفَ عن التفنّن فى استعمال إمكانياته ومَلَكاته فى سطحها العالى حيث وضع نصب عينيه مستوى المُخاطَب، واكتفى من المعالجة العلمية بالقدر الأدنى الذى يخدم إثبات الفكرة وتحقيق الهدف من البحث ليس إلّا، موفِّراً للقارئ جهداً كان سيهدره فيما لا يعنيه، وللفكرة نجاة من الضياع فى مطاوٍ قد يتيه فيها. وبعد، فإنّى أنصح القارئ الكريم بالتأنّى فى مطالعة الكتاب وعدم استباق فصوله (حتّى لا يقع فيما وقعت فيه من العجلة فى جولتى الاولى معه قبل أن أعزم على ترجمته، إذ كانت التساؤلات تترى فى ذهنى، وأسجلها مؤاخذات على الكتاب عندما لا أجد المعالجة المطلوبة لها، ثمّ لا ألبث قليلًا حتّى الاقى فى الفقرات أو الصفحات التالية بغيتى وأعثر على ضالّتى!)، إذ سيجد لكلّ تساؤل مكانه من الإجابة والردّ، وسيرى أنّ البحث قد أحاط بكلّ الحيثيات والزوايا المتعلّقة بالموضوع... كما سيلمس العارفون نفحة معنوية ومسحة روحية خاصة صبغت الكتاب، استمدّها المؤلِّف- كما حدّثنى بذلك شخصياً- من توسّله بمولاتنا فاطمة المعصومة عليها السلام «۱» من أجل أن يرى هذا الكتاب النور، لذا فإنّ الكتاب ينفرد بموقع خاص فى نفس الكاتب يميّزه عن بقيّة مصنّفاته ومؤلّفاته وإن فاقته محتوىً وجهداً علمياً. آية التطهير، ص: ۹ أمّا موضوع الكتاب، أى البحث فى آية التطهير: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «۱» فإلى جانب ما تناوله من دلالة هذه الآية وما تنطوى عليه من معانٍ وتحويه من أسرار تشكّل فى مجموعها رسالة تامّة للباحثين عن الحقّ، والساعين لمعرفة طريق رضا اللّه ومنهج الوصول إلى سنّة رسوله، رسالة فى الولاية التى ما نودى بشىء كما نُودى بها، فهى «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء ورضا الرحمن» «۲» ... فإنّه يعنى شيئاً آخر لعلّه خفى على كثيرين، هو التعارض الموهوم الذى افترضوه بين المناداة بالوحدة الإسلامية والدعوة لها، والتمسّك بولاء أهل البيت والرسوخ التامّ فى العقيدة الإمامية الحقّة... فتعرّض الكاتب- وهو أحد أبرز تلاميذ الإمام الخمينى، رائد الوحدة الإسلامية وأكبر المنادين بها فى عصرنا الحاضر- لهذا الموضوع والدخول فيه على هذا النحو، يعنى فيما يعنى عدم التعارض بين المقولتين، وأنّ الوحدة التى أرادها الإمام الراحل، والمنهج الصحيح فيها هو الوحدة السياسية، والتقاء جميع الفرق والمذاهب الإسلامية على جهاد أعداء الدين الإسلامى المبين من الشرق والغرب والأنظمة الظالمة العميلة لهما، وهكذا عدم إثارة الاختلاف وتكلّف النزاع المنجرّ إلى فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ «۳» ... لا التفريط فى المعتقدات الحقّة المنتهى إلى تمييع الأفكار والعقائد، ولبس الحق آية التطهير، ص: ۱۰ بالباطل من خلال تدليس قد يطمس معالم الهدى ويساهم- والعياذ باللّه- فى إضلال الأمّة، ولعلّ فيها طالب حقّ يسعى لما يسكّن روعه، ويلتقى بالفطرة التى زيّنها اللّه فى قلبه من حبّ آل محمّد وولايتهم وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ «۱» ، أو مؤمناً موالياً بحاجة لما يربط على قلبه ويثبت عقيدته ويرسخ ولاءه... الأمر الذى يدخل فى صميم الدور الرسالى لعلماء الدين. من هنا نجد الإمام الخمينى قدّس اللّه سرّه ينهض بهذا الدور ويباشر هذه المسؤولية على امتداد مسيرته، حتّى ختم حياته وزيّن مطلع وصيّته للأمّة الإسلامية بحديث الثقلين إذ يقول: «إنّ حديث الثقلين متواتر بين جميع المسلمين وقد نقل فى كتب السنّة- من الصحاح الستّة إلى الكتب الأخرى- بألفاظ مختلفة وموارد متكرّرة، متواتراً عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم. وهذا الحديث حجّة قاطعة على جميع البشر خصوصاً مسلمى المذاهب المختلفة، ويجب على كلّ المسلمين الذين تمّت الحجّة عليهم أن يقدموا الإجابة عن ذلك، وإذا كان ثمّة عذر للجاهلين

غير المطّلعين فلاـ عـذر لعلماء المـذاهب». ويقول رضوان اللّه عليه فى مقطع آخر من الوصـيهٔ: «نحن فخورون بأنّ مـذهبنا جعفرى وأنّ فقهنـا، هـذا البحر الزاخر، هو أحـد آثـاره، ونحن فخورون بكلّ الأئمّـهٔ المعصومين عليهم صـلوات اللّه، ونحن ملتزمون باتّباعهم». ولمّا كان الكتاب قد الّف قبل فترهٔ بعيدهٔ، فقد طلبت من سماحهٔ آيهٔ التطهير، ص: ۱۱ الشيخ مدّ ظلّه ملاحظهٔ صياغهٔ بعض العبارات وإدخال شيء من التعـديلات، كما اقترحت عليه تغيير اسم الكتاب، فقد نُشـر فى طبعته السابقهٔ باسم «أهل البيت أو الشخصـيات اللامعهٔ فى آيهٔ التطهير» فتفضّل واسـتجاب مشكوراً... وإلى جانب الترجمهٔ، قمت بتخريج بعض الروايات والنصوص المنقولهٔ وإرجاعها إلى مصادرها، وتعـديل مصـادر أخرى- مـذكورهٔ فى الأصـل- إلى طبعاتها الجديـدهٔ المتداولـهٔ، ولما كانت أغلب التخريجات مُجملـهٔ مكتفيـهٔ باسـم الكتاب أو الجزء دون ذكر رقم الصـفحهٔ فقد قمت بتفصيلها، بالإضافهٔ إلى توضيح بعض ما احتملت غموضه على القارئ، وحيث إنّى قمت بإدراج تعليقات المؤلّف فى المتن نفسه ونقلتها من الحاشـيهٔ وضـمّنتها الأصل؛ لـذا فإن كلّ ما فى الهامش يرجع إلى الترجمـهٔ لا التأليف، واكتفيت بذكر الأمر هنا على التوقيع فى ذيل كلّ تعليق... نسأل اللّه لسـماحهٔ الشـيخ الصحّهٔ والعافيهٔ ودوام التوفيق؛ ليرفد الأمّهٔ بالمزيـد من النتاجـات العقائديـهٔ والفكريـهٔ إلى جانب ما يضـطلع به من أعباء ومسؤوليات الإفتاء والمرجعيـهٔ، إنّه سـميع مجيب. كتبها/ عبّاس نخعى آيهٔ التطهير، ص: ۱۲ صفحه سفيد آيهٔ التطهير، ص: ۱۳ بسم اللّه الرحمن الرحيم إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (الأـحزاب) (۳۳) تُعـدّ هـذه الآيـهٔ الشـريفهٔ- وفقاً لروايات العامّـهٔ والخاصّـهٔ- من أشـهر ما نزل فى واقعهٔ معيّنهٔ تخصّ ثلّـهٔ خاصّـهٔ من أقرباء النبىّ صـلى الله عليه و آله، ولا ريب فى دلالهٔ هذه الآيهٔ على أفضـليهٔ أهل البيت عليهم السـلام وطهارتهم ومنزلتهم. إنّ خلاصـهٔ مـدلول هـذه الآيـهٔ درر مرصـعهٔ بالفضـيلهٔ والطهارهٔ والكفاءهٔ، واسـتحقاق مرتبهٔ الخلافهٔ العظمى، إنّ آيهٔ التطهير تخصّ بالذكر اناساً يَسـمون فوق افق الإنسانيهٔ حتّى الكاملهٔ منها، ويسـبحون فى فضاء لا يرقى إليه أحد، لا ملكٌ مقرّب ولا نبىٌّ مرسـل ولا صـدِّيق ولا شـهيد... وإن قلنا: إنّ هـذه الصـفوهٔ من عباد اللّه تمسّـكوا بهذه الآيهٔ، وأثبتوا على أساسـها فى عشـرات الموارد تفوّقهم وأفضـليتهم على غيرهم، لمـا كـان قولنا جزافاً... آيـهٔ التطهير، ص: ۱۴ لقـد سـمّرت هـذه الآيهٔ الشـريفهٔ أعين ذوى البصائر صوب قمم العصـمهٔ والطهارهٔ، وكبَحَت المتعصّبين بلجام عصبيتهم، وأعيتهم عن التنكّر لأفضلية أهل البيت عليهم السلام وأحقّيتهم وكمالهم، ومن هناك حيث يطلع طلّاب الحقّ الـذين تخلّصوا من جمود التعصّب، تتجلّى أحقّيتهم صـلوات اللّه عليهم. والوقوف على دلالـهٔ هـذه الآيهٔ الكريمـهٔ والإحاطـهٔ بمفادها العميق يتطلّب المزيـد من الدراسـهٔ والتحرّى والتحقيق، وللوهلـهٔ الأولى- إذا ما صـرفنا النظر عن الروايات- نرى أنّ البحث ينبغى أن ينصبّ على نكات خمس رئيسيهٔ جديرهٔ بالاهتمام: النكتهٔ الأولى: كون الآيهٔ الكريمهٔ قد ذُكرت خلال آيات خاطبت زوجات النبىّ صـلى الله عليه و آله، وعنـد التـدقيق يتّضـح أن لا علاقـهٔ لها بهاتيك النسوهٔ. النكتـهٔ الثانيهٔ: المفارقهٔ التى تسـجّل حول الآيهٔ بلحاظ شأن نزولها من جههٔ، وقد نزلت بصورهٔ مستقلّهٔ فى مورد خاصّ، وكان محلّ نزولها بيتاً من بيوت نساء النبىّ صلى الله عليه و آله، ومن جهـهٔ أُخرى ترتيبهـا فى طريق التـدوين، الـذى تخلّل آيات تتحـدّث عن نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله بحيث جاءت مقحمـهٔ فى سـياق: وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَـا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَـاةَ وَآتِينَ الزَّكَـاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «۱» . النكتـهٔ الثالثـهٔ: البحث فى المقصود من «الإرادهٔ» فى قوله تعالى: آيهٔ التطهير، ص: ۱۵ إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّهُ.... النكتهٔ الرابعهٔ: ما هو «الرجس» فى النظرهٔ القرآنيهٔ؟ ليكون مبيّناً لنفى الرجس بصورهٔ مطلقهٔ فى الآيهٔ الشـريفهٔ. النكتـهٔ الخامسهٔ: البحث فى عبارهٔ «أهل البيت» هل هى اصـطلاح خاصّ أم أنّ لها مفهوماً عامّاً يشـمل جميع أقرباء رسول اللّه صـلى الله عليـه و آله، أم أنّهـا من العنـاوين المشيـرهٔ «۱» التى لاـ يلحـظ فيهـا المفهوم؟ وبعبـارهٔ أُخرى: هـل عبارهٔ «أهل البيت» ملحوظهٔ بالمعنى الوصفى فى الآيهٔ الشريفهٔ أم أنّها مشيرهٔ إلى جماعهٔ معيّنهٔ؟ آيهٔ التطهير، ص: ۱۶ صفحه سفيد آيهٔ التطهير، ص: ۱۷

## النكتهٔ الاولى: علاقهٔ الآيهٔ بزوجات النبىّ صلى الله عليه و آله

### اشارهٔ

النکتـهٔ الاولی: علاقـهٔ الآیـهٔ بزوجات النبیّ صـلی الله علیه و آله لا ریب فی أنّ هـذه الآیات نزلت فی المدینـهٔ؛ لأنّ جمیع آیات سورهٔ الأحزاب مدنیهٔ، خصوصاً الآیات التی کانت نساء النبیّ صلی الله علیه و آله هنّ المخاطب فیها؛ لأنهنّ إنّما دخلن فی عصمهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله وأصبحن أزواجه فی المدینـهٔ. إذن ثمّهٔ ظنّ قویّ هنا بأنّ الآیهٔ نزلت فی أواخر حیاهٔ النبیّ صـلی الله علیه و آله حین کان صلی الله علیـه و آله ذا أزواج عدیـدهٔ، الأـمر الـذی اتّفـق للنبیّ صـلی الله علیه و آله فی أواخر أیّامه، وعلی القاعـدهٔ فـإنّ جمیعهنّ أو أکـثرهنّ بقین فی عصـمته، ثمّ حظیت وتشـرّفت کـلّ واحـدهٔ منهنّ بعـد وفـاته بلقب «أمّ المؤمنین». من الواضـح أنّ هـذه الآیـات التی تخاطب الزوجات لقضـیهٔ هامّهٔ وتوجّه إلیهنّ نصائح قیّمهٔ، وتذکّرهنّ بامور مفیدهٔ، ترید رسم منهج تربوی خاصّ لهذه النسوهٔ یحصّنهنّ من الإضـرار بالإسـلام والمسلمین، لما یمکن أن یؤدّینه من دور فی مستقبل الإسلام بعد رحیل النبیّ صلی الله علیه و آله، ولما یحتمل أن یؤثّر فیهنّ من عناصر التخریب فی ظلّ الاعتداد والتمتّع بلقب «أمّ المؤمنین»، فیُضللن الامّهٔ التی لم تواکب وقائع عهد النبیّ صلی الله علیه و آله عن قرب، وظلّت تعانی الجهل بحقائق تلک الفترهٔ. إذ إنّ التوجّه إلی هذه الآیات والعمل بالنصائح والإرشادات التی تحویها سیحـدِّد آیهٔ التطهیر، ص: ۱۸ تکلیفهنّ الصـحیح، ویحُول دون ارتکـابهنّ ما یعرقل المسیـرهٔ ویعیق دور الزعماء الواقعیین للإسـلام، فلا یکن سـبباً لانفصام عری الـدین واسـسه. تبـدأ الآیـهٔ الاولی بمخاطبهٔ نساء النبیّ صـلی الله علیه و آله بتذکرهنّ أنّ حبّ الدنیا، والافتتان بالحیاهٔ المادّیهٔ وزینتها لا یتناسب ومقام الزوجیهٔ لرسول اللّه صـلی الله علیه و آله، وتدعوهنّ لعدم التشبّث بالافتخار بهذا المقام، واتخاذ موقف عملی وواقعی بالانفصـال عن رسول اللّه صـلی الله علیه و آله بالحسـنی. یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لأَزْوَاجِکَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَیَاهَٔ الـدُّنْیَا وَزِینَتَهَا فَتَعَالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَ أُسَرِّحْکُنَّ سَرَاحاً جَمِیلًا «۱» . وتذکّرهنّ الآیهٔ الثانیهٔ إن کنّ علی اسـتعداد لمجاراهٔ رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی حیاته المنقطعهٔ إلی اللّه والتی أوقفها للآخرهٔ، وأردن مواصلهٔ الحیاهٔ الزوجیهٔ معه صلی الله علیه و آله علی هذا الأساس، فإنّ هذا مـدعاهٔ فخر واعتزاز لهنّ وبـاعث لبلوغ أعظم الأـجر. وَإِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالـدَّارَ الْآخِرَهَٔ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَـدَّ لِلْمُحْسِـنَاتِ مِنْکُنَّ أَجْراً عَظِیماً «۲» . ثمّ تسـتعرض الآیـهٔ الثالثـهٔ حساسـیهٔ وخطورهٔ أفعالهنّ، والموقع المتمیّز الذی اختصّت به أعمالهنّ، فلیس شأنهنّ وحسابهنّ مثـل غیرهنّ من النسـاء إن أتین بالمعصـیهٔ أو الفاحشـهٔ المبیّنـهٔ، بـل إنّ مـوقعهنّ من رسـول اللّه صـلی الله علیه و آله یجعـل الحساسـیهٔ مضاعفهٔ، وبالتالی فالعقاب مضاعف أیضاً. یَا نِسَاءَ النَّبِیِّ مَنْ یَأْتِ مِنْکُنَّ بِفَاحِشَهٍٔ مُبَیِّنَهٍٔ یُضَاعَفْ لَهَا آیهٔ التطهیر، ص: ۱۹ الْعَذَابُ ضِعْفَیْنِ وَکَانَ ذَلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِـیراً «۱» . وتبیّن الآیـهٔ الرابعـهٔ الجـانب المقابل لما جاءت به الآیـهٔ الثالثـهٔ، فالتزام التقوی وخلوص العبودیـهٔ للّه سبحانه والامتثال المطلق لرسول اللّه صـلی الله علیه و آله وعمل الصالحات یوجب الأجر والثواب المضاعف أیضاً، کما أوجب اجتراح الفواحش والانصراف إلی الدنیا وزینتها العقاب المضاعف. وَمَنْ یَقْنُتْ مِنْکُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَیْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً کَرِیماً «۲» . أمّا الآیـهٔ الخامسـهٔ فإنّها تصـرّح بالتحذیر والتذکرهٔ، فلا ینبغی لهنّ أن یقسن أنفسـهنّ بغیرهنّ من النساء فی أمر الحیاهٔ المعیشـیهٔ، فإن اتّقین اللّه وتجنّبن معصـیته ولم یلجأن إلی الحیل والأسالیب الملتویهٔ فإنّ اللّه هو المثیب والمجازی. ولا ینبغی لهنّ بحال أن یقارن أنفسـهنّ بغیرهنّ، ویجب أن یسلکن الغایهٔ فی الاحتیاط حتّی فی أُسلوب وطریقهٔ الکلام التی یجب أن تتنزّه عن الخضوع فی القول، وما قد یبعث علی طمع مَنْ فی قلبه مرض، فالحرمهٔ مضاعفهٔ والحظر والتقیید ینبغی أن یکون مضاعفاً یَا نِسَاءَ النَّبِیِّ لَسْـتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّسَـاءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ فَلَـا تَخْضَـعْنَ بِـالْقَوْلِ فَیَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً «۳» . آیـهٔ التطهیر، ص: ۲۰ وفی الخاتمهٔ یحدِّد مطلع الآیـهٔ السادسـهٔ دورهنّ الاجتماعی وواجبهنّ تجاه المجتمع الإسـلامی، فلیس من دورهنّ الظهور فی المحافل العامّـهٔ، ولا التدخّل فی القضایا السیاسـیهٔ للمسـلمین، بل علیهنّ التزام بیوتهنّ وإطاعهٔ اللّه ورسوله وإقامهٔ الصـلاهٔ وإیتاء الزکاهٔ. وَقَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِیَّهِٔ الْأُولَی وَأَقِمْنَ الصَّلَاهَٔ وَآتِینَ الزَّکَاهَٔ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ «۱» . إذن فالآیات الموجّههٔ إلی نساء النبیّ صلی الله علیه و آله لا تثبت لهنّ أیّهٔ فضـیلهٔ بل تحرّضـهنّ علی کسب الفضائل، وتقوم بتعریفهنّ بما یجب علی امرأهٔ مسلمهٔ ترید أن تکون زوجهٔ للنبیّ صلی الله علیه و آله وتتمتّع إلی یوم القیامـهٔ بهـذا الشـرف، وقـد جـاءت هـذه الإرشـادات لتقطع الطریق علی تمادیهنّ وتـدخّلهنّ فی القضایا الإسـلامیهٔ العامّهٔ والحسّاسهٔ ممّا أوکله اللّه ورسوله صـلی الله علیه و آله إلی رجال الإسـلام فی مستقبله، فلا تذهب بهنّ الظنون وتسوِّل

لهنّ أنفسهنّ أنّهنّ ورثن الملك وحقّ سياسة الدولة الإسلامية لكونهنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله. وهذه الآيات لا تعنى بأىّ حال تعلّق الإرادة التكوينية «۲» للبارى عزّوجلّ بطهارة نساء النبيّ صلى الله عليه و آله أو عصمتهنّ أو نزاهتهنّ واستقامتهنّ، حيث دفعت كلمة «تُردن» فى الآية أى احتمال للإرادة الإلهية التكوينية بهذا الصدد، وألقت عبء اكتساب الكمالات التى وعدت بها الآيات على عواتقهنّ وسعيهنّ، إذ عرضت عليهنّ: إن كنّ يردن عَرَض الدنيا المهلك فعليهنّ الانفصال عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فإنّهنّ لا يلقن بشرف الاقتران به، وإن كنّ يردن اللَّه ورسوله فإنّ لهنّ أجراً عظيماً، فالذات آية التطهير، ص: ۲۱ الإلهية المقدّسة إذن ليست لها إرادة استثنائية بالنسبة إلى نساء النبيّ صلى الله عليه و آله، والأمر راجع إليهنّ وإرادتهنّ الخاصّة فى الوضع والحال الذى يكن عليه من السعادة أو الشقاء، بل أرشدهنّ إلى اتّباع سبيل الخير والصلاح ليحظين بالأجر المضاعف، وحذّرهنّ إن سلكن طريق الإعوجاج فإنّ لهنّ عقاباً مضاعفاً، فالأمر إذن إليهنّ فى تحديد المنهج الذى يبنين حياتهنّ على أساسه. وعلى ما سبق نستخلص من هذه الآيات الشريفة نتيجتين مهمّتين: ۱- فصل وعزل نساء النبيّ صلى الله عليه و آله عن أىّ دور فى القضايا الاجتماعية الحسّاسة وشؤون المسلمين العامّة، وأمرهنّ بانتهاج خطّ سلمى يمضى بالتى هى أحسن، واتّخاذهنّ دور ربّة البيت المنصرفة إلى شؤون بيتها وتهذيب نفسها بالفضائل بعيداً عن الأهواء الدنيوية الشيطانية. ۲- انتفاء الدلالة على تعلّق الإرادة الإلهية بنزاهة نساء النبيّ صلى الله عليه و آله وكونهنّ حالة متميّزة ومتفوّقة، ففى هذا المضمار لهنّ الخيار، إلّاأنهنّ إن أَرَدْنَ الاحتفاظ بشرف اللقب فعليهنّ اتّخاذ طريق الصلاح.

## الآية الخاصّة، آية التطهير

الآية الخاصّة، آية التطهير: فى معرض هذه الآيات نلتقى بجملة معترضة تحكى تعلّق المشيئة والإرادة الربّانيّة بأمر عظيم، فيتغيّر أسلوب الحديث وشكل الخطاب الإلهى فى هذه الجملة، فالحديث يدور حول مشيئة البارى تعالى وإرادته التكوينية، ومفاد هذه الجملة هو: حَتَم القضاء وحَكَم بوجود بيت وأسرة تسمو فوق قمم الفضيلة والطهارة وأعلى مراقى الإنسانية آية التطهير، ص: ۲۲ والقدرة والكفاءة... ففى جملة قصيرة- تغيّر فيها ضمير جمع المؤنث إلى جمع المذكر «كُم»- يقول سبحانه وتعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. فقد قضت إرادة اللَّه أن يكون أهل البيت عليهم السلام- الصفوة من بيت النبوّة- هم الوحيدين المنزّهين عن كلّ نقص وعيب وسوء ورجس، وأن تشع فى نفوسهم وأرواحهم أنوار الطهارة والصفاء التى لا تزول، نزاهة وطهارة تمكن الدين القيم من العطاء النقى الخالص إلى الأبد. إذن نحن هنا أمام الكلام فى الإرادة التكوينية والقضاء المحتوم، إرادة انبعاث بيت وأسرة، فى أعلى مستويات الإنسانية البعيدة عن الزلل والخطأ والانحراف والتحريف والأمراض النفسية والخصال القبيحة، وكلّ عيب أو نقص... المتحلّية بجميع الكمالات من الصفاء والطهارة والتقى والزهد، وكلّ فضيلة وكمال نفسى وروحى... ومن البديهى أنّ قضاء اللَّه وإرادته الأزلية لم تتعلّق بهذا الأمر عبثاً ولغواً، بل هى مقدّمة لإعداد هذه الوجودات القدسية لدور إسلامى خطير ما هو إلّاقيادة المسلمين وهدايتهم «۱». آية التطهير، ص: ۲۳ وعلى هذا، فإنّ هذا الخطاب لا يمكن أن يشمل نساء النبيّ صلى الله عليه و آله بدليلين- فضلًا عن الأدلّة الأخرى التى سيأتى بيانها لاحقاً- هما: ۱- لا دلالة فى الآيات المتعلّقة بنساء النبيّ صلى الله عليه و آله على إرادة اللَّه سبحانه تنزيههنّ، بل إنّها صرّحت من خلال كلمة «تُردن» بأنّ أمر بلوغ مرتبة الأجر المضاعف أو نيل العقوبة المضاعفة منوط بهنّ وبإرادتهنّ الخاصّة، فإنّ إرادتهنّ لها المدخلية التامّة فى مصيرهنّ، ومع ثبوت هذا الأمر لا يعود لفرض دور فى تدخّل الإرادة الربّانية بشكل تكوينى خصوصاً لصالح نزاهتهنّ وطهارتهنّ أىّ معنى. وبعبارة أوضح: كيف يمكن أن تتعلّق الإرادة الإلهية المحتومة بنزاهة نساء النبى صلى الله عليه و آله وطهارتهنّ من كلّ الخبائث والأرجاس، مع أنّ الآيات صرّحت باحتمال انصرافهنّ إلى الدنيا وسقوطهنّ فى حبائل زينتها ممّا لا يجتمع وشأنية الاقتران برسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ بحيث طالبتهنّ تلك الآيات الشريفة بالتخلّى عن رداء الفخر والاعتزاز، الذى نلنه بمقام الزوجية إذا ما اخترن طريق الدنيا؛ ليصبح شأنهنّ كسائر نساء المسلمين دون امتياز وفخر يضفيه لقب «امّ المؤمنين»، هل يتوافق هذان الأمران ويقبلان الاجتماع والالتقاء فى موضوع واحد؟ كلّا... ومن هنا يُعلم أنّ نساء

النبيّ صلى الله عليه و آله خارج دائرة إرادة البارى التكوينية، التى قضت بطهارة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ مصيرهنّ يتعلّق بإرادتهنّ الخاصّة وسلوكهنّ الشخصى لا غير. ٢- إنّ رسالة هذه الآيات الشريفة من قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النبى آية التطهير، ص: ٢۴ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ حتّى قوله: وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ «١» هى بيان واجب وتكليف نساء النبيّ صلى الله عليه و آله وانحصاره بدور ربة البيت المتديّنة العفيفة، لا التدخّل فى أمور المجتمع والخوض فى القضايا السياسية، أمّا آية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. فهى حاكية عن إرادة البارى عزّوجلّ فى خلق وإيجاد بيت وأسرة طاهرة مطهّرة ليُوكّل إليها دور وتُناط بها وظيفة اجتماعية سياسية غاية فى الأهمّية، كيف يمكن إذن أن يكون هذا القسم من الآية شاملًا لزوجات النبيّ صلى الله عليه و آله؟ مع أنّنا نلاحظ تغيّراً واضحاً فى أسلوب الخطاب الذى تحوّل فجأةً إلى ضمير «عنكم» بعد تتالى عشرين ضميراً لجمع المؤنّث! كانت هذه إشارة موجزة إلى أن آية التطهير لا تدلّ على طهارة زوجات النبيّ صلى الله عليه و آله ونزاهتهن. وهذه النتيجة تنسجم مع رؤية العارفين بالقرآن الكريم وأسلوبه ومنهجه، فقد خلصوا إلى أنّ دور زوجات النبيّ صلى الله عليه و آله لا- يتجاوز مدلول هذه الآيات التى بحثناها من التزام بيوتهنّ والقيام بشؤونها والتحلّى بلباس التقوى. وسنتناول هنا بعض النماذج من آراء هذه الطبقة الممتازة، ومن الأنسب أن تكون الرؤية الأولى لواحدة من هذه النسوة أنفسهنّ اللاتى آية التطهير، ص: ٢۵ توجّه إليهنّ الخطاب فى تلك الآيات، ونرى أن نقدّم شيئاً فى ترجمة شخصية هذه المرأة العظيمة. رأى امّ سلمة: لابدّ لنا قبل عرض رأى هذه المرأة الصالحة فى هذه القضية الحسّاسة من نقل بعض صفاتها وخصائصها دفعاً لأىّ وهم قد يخدش بموضوعيتها فى تبنّى رأيها من الآيات ومن هذه القضية، ولا يحمل الرغبة التى أبدتها فى قصّة حديث الكساء محمل الهوى ورغبات النساء. بعد امّ المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام تأتى أمّ سلمة رضوان اللَّه عليها على رأس قائمة النساء اللآتى كنّ يلقن زوجات للنبى صلى الله عليه و آله، لقد كانت أكثرهنّ أمانة حتّى إنّها استُودعت أمانات وودائع الإمامة، وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أفضلهنّ- نساء النبيّ صلى الله عليه و آله- خديجة بنت خويلد، ثمّ امّ سلمة بنت الحارث» «١» ، لقد كانت الوحيدة من بين نساء النبيّ صلى الله عليه و آله التى ما توانت عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام والدفاع عنه، ولم تدّخر وسعاً فى كشف الحقائق وإعلانها. وكان أهل البيت عليهم السلام يرونها أهلًا لاطّلاعها وائتمانها على أسرارهم، وهى نفسها التى نقلت عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أحاديث زاخرة بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن تعصّب هذا وذاك ليمنعها عن الصدع بالحقّ. ولعلّ نزول هذه الآية «آية التطهير» فى بيتها- باتّفاق الفريقين- آية التطهير، ص: ٢۶ خير شاهد على فضلها ومنزلتها، وكما سيأتى فى البحث حول المراد من البيت فى «أهل البيت» هو بيت أمّ سلمة رضوان اللَّه تعالى عليها، وهو أحد بيوت نساء النبيّ صلى الله عليه و آله، وقد ذكر فى الآيات محلّ البحث فى موردين بصيغة الجمع، وكيف كان فقد عدّ هذا البيت المبارك منبعاً وأساساً لإطلاق هذا العنوان «أهل البيت»، الذى تحوّل بعد ذلك إلى مصطلح خاصّ «١»، بحيث اضيفت الثلّة الخاصّة من أسرة النبيّ صلى الله عليه و آله المشمولة بآية التطهير إلى ذلك البيت، وهذا بحدّ ذاته أفضل شاهد على مكانة ومنزلة أمّ سلمة. ويكفى لإثبات تمتّعها بروح مطمئنّة ونفس مذعنة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّها كانت تصرّح بقول النبيّ صلى الله عليه و آله لها أنّ هذه الآية لا تشملها، وأنّها ليست من أهل البيت الذين أرادتهم الآية الشريفة. ويسعنا القول: إنّها كانت من الوثاقة والعدالة والمنزلة بحيث كانت أحاديثها مستنداً لكثير من أعلام الشيعة ورجالاتها فيما اتخذوه من مواقف تجاه أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى سبيل المثال نذكر زيد بن صوحان، الذى استشهد فى حرب الجمل، وقد حضر أمير المؤمنين مصرعه فلقّاه مضرّجاً بدمه وهو فى حال النزع يجود بنفسه، فقال له: رحمك اللَّه يا زيد قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة، فرفع زيد رأسه وأخذ يقول بصوت خافت: «وأنت فجزاك اللَّه خيراً يا أمير المؤمنين، فواللَّه ما علمتك إلّاباللَّه عليماً وفى امّ الكتاب عليّاً حكيماً، وأنّ اللَّه فى آية التطهير، ص: ٢٧ صدرك لعظيم، واللَّه ما قاتلت معك على جهالة، ولكنّى سمعت أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه و آله تقول: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «مَنْ كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فكرهت واللَّه أن أخذلك فيخذلنى اللَّه» «١». وتُعدّ الرسالة التى كتبتها إلى عائشة فى واقعة الجمل أفضل شاهد على علمها وفضلها ومعرفتها بالقرآن،

إلى جانب بلاغتها وفصاحتها، وأنّها امرأة عالمة عارفة بالقرآن، مطيعة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، معلنة للحق وساعية له، لا مغرضة ولا طامعة، تكنّ لأمير المؤمنين عليه السلام خالص الولاء والوفاء، متحرّقة لنصرة الإسلام وإنقاذ الأمّة من الفتنة، كتبت لعائشة تقول: «إنّك جُنّة بين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وبين امّته، وإنّ الحجاب دونك لمضروب على حرمته، وقد جَمَعَ القرآن ذيلك فلا تَنْدَحيه، وسكّن عُقَيراك فلا تُصحريها، لو أذكرتك قولةً من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تعرفينها لَنُهشت بها نَهْشَ الرقشاء المطرقة، ما كنت قائلةً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله لو لقيك ناصّة قَلُوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركت عُهَيْداه وهتكت ستره، إنّ عمود الدين لا يقوم بالنساء، وصَدْعه لا يُرأبُ بهنّ، حُمادَيات النساء خفض الأصوات وخَفَرُ الأعراض، اجعلى قاعدة البيت قبرك حتّى تلقينه وأنت على ذلك» «۲» . آية التطهير، ص: ۲۸

## رأى امّ سلمة

رأى امّ سلمة: لابدّ لنا قبل عرض رأى هذه المرأة الصالحة فى هذه القضية الحسّاسة من نقل بعض صفاتها وخصائصها دفعاً لأىّ وهم قد يخدش بموضوعيتها فى تبنّى رأيها من الآيات ومن هذه القضية، ولا يحمل الرغبة التى أبدتها فى قصّة حديث الكساء محمل الهوى ورغبات النساء. بعد امّ المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام تأتى أمّ سلمة رضوان اللَّه عليها على رأس قائمة النساء اللآتى كنّ يلقن زوجات للنبى صلى الله عليه و آله، لقد كانت أكثرهنّ أمانة حتّى إنّها استُودعت أمانات وودائع الإمامة، وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أفضلهنَّ- نساء النبىّ صلى الله عليه و آله- خديجة بنت خويلد، ثمّ امّ سلمة بنت الحارث» «۱» ، لقد كانت الوحيدة من بين نساء النبىّ صلى الله عليه و آله التى ما توانت عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام والدفاع عنه، ولم تدّخر وسعاً فى كشف الحقائق وإعلانها. وكان أهل البيت عليهم السلام يرونها أهلًا لاطّلاعها وائتمانها على أسرارهم، وهى نفسها التى نقلت عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أحاديث زاخرة بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن تعصّب هذا وذاك ليمنعها عن الصدع بالحقّ. ولعلّ نزول هذه الآية «آية التطهير» فى بيتها- باتّفاق الفريقين- آية التطهير، ص: ۲۶ خير شاهد على فضلها ومنزلتها، وكما سيأتى فى البحث حول المراد من البيت فى «أهل البيت» هو بيت أمّ سلمة رضوان اللَّه تعالى عليها، وهو أحد بيوت نساء النبىّ صلى الله عليه و آله، وقد ذكر فى الآيات محلّ البحث فى موردين بصيغة الجمع، وكيف كان فقد عدّ هذا البيت المبارك منبعاً وأساساً لإطلاق هذا العنوان «أهل البيت»، الذى تحوّل بعد ذلك إلى مصطلح خاصّ «۱»، بحيث اضيفت الثلّة الخاصّة من أسرة النبىّ صلى الله عليه و آله المشمولة بآية التطهير إلى ذلك البيت، وهذا بحدّ ذاته أفضل شاهد على مكانة ومنزلة أمّ سلمة. ويكفى لإثبات تمتّعها بروح مطمئنّة ونفس مذعنة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّها كانت تصرّح بقول النبىّ صلى الله عليه و آله لها أنّ هذه الآية لا تشملها، وأنّها ليست من أهل البيت الذين أرادتهم الآية الشريفة. ويسعنا القول: إنّها كانت من الوثاقة والعدالة والمنزلة بحيث كانت أحاديثها مستنداً لكثير من أعلام الشيعة ورجالاتها فيما اتخذوه من مواقف تجاه أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى سبيل المثال نذكر زيد بن صوحان، الذى استشهد فى حرب الجمل، وقد حضر أمير المؤمنين مصرعه فلقّاه مضرّجاً بدمه وهو فى حال النزع يجود بنفسه، فقال له: رحمك اللَّه يا زيد قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة، فرفع زيد رأسه وأخذ يقول بصوت خافت: «وأنت فجزاك اللَّه خيراً يا أمير المؤمنين، فواللَّه ما علمتك إلّاباللَّه عليماً وفى امّ الكتاب عليّاً حكيماً، وأنّ اللَّه فى آية التطهير، ص: ۲۷ صدرك لعظيم، واللَّه ما قاتلت معك على جهالة، ولكنّى سمعت أمّ سلمة زوج النبىّ صلى الله عليه و آله تقول: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «مَنْ كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فكرهت واللَّه أن أخذلك فيخذلنى اللَّه» «۱». وتُعدّ الرسالة التى كتبتها إلى عائشة فى واقعة الجمل أفضل شاهد على علمها وفضلها ومعرفتها بالقرآن، إلى جانب بلاغتها وفصاحتها، وأنّها امرأة عالمة عارفة بالقرآن، مطيعة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، معلنة للحق وساعية له، لا مغرضة ولا طامعة، تكنّ لأمير المؤمنين عليه السلام خالص الولاء والوفاء، متحرّقة لنصرة الإسلام وإنقاذ الأمّة من الفتنة،

كتبت لعائشة تقول: «إنّك جُنّة بين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وبين امّته، وإنّ الحجاب دونك لمضروب على حرمته، وقد جَمَعَ القرآن ذيلك فلا تَنْدَحيه، وسكّن عُقَيراك فلا تُصحريها، لو أذكرتك قولةً من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تعرفينها لنُهشت بها نَهْشَ الرقشاء المطرقة، ما كنت قائلةً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله لو لقيك ناصّية قَلُوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركت عُهَيْداه وهتكت ستره، إنّ عمود الدين لا يقوم بالنساء، وصَدْعه لا يُرأبُ بهنّ، حُمادَيات النساء خفض الأصوات وخَفرُ الأعراض، اجعلى قاعدة البيت قبرك حتّى تلقينه وأنت على ذلك» «۲» . آية التطهير، ص: ۲۸

## رأى زيد بن صوحان

رأى زيد بن صوحان: عندما وصلت عائشة مع صحبها إلى البصرة لإثارة الفتنة وإشعال الحرب، كتبت إلى زيد بن صوحان تؤلّبه على أمير المؤمنين عليه السلام، (وقد أثبت ابن الأثير هذه الرسالة وجوابها فى الكامل فى التاريخ) وقد أدرجها صاحب قاموس الرجال أيضاً فى ترجمة زيد «۱»، وهكذا سائر كتب التراجم مع اختلاف يسير، ونحن هنا ننقل نص «الكامل»: «من عائشة امّ المؤمنين حبيبة رسول اللَّه (!) إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان: أمّا بعد، فإذا أتاك كتابى هذا فأقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذّل الناس عن علىّ». أمّا زيد، وهو أخو صعصعة ومن كبار التابعين، وهو كاويس القرنى، الذى لم يحظ بصحبة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولكن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله بشّره بالجنّة «۲»، وقد أبلى بلاءً حسناً فى الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام فى جهاده الناكثين فى حرب الجمل، فقد كتب فى جوابها: «أمّا بعد، فأنا ابنك الخالص، لئن اعتزلت ورجعت إلى بيتك وإلّا فأنا أوّل من نابذك» «۳». وهذا الجواب يكشف بوضوح إحاطة عموم المسلمين بوظيفة آية التطهير، ص: ۲۹ وبواجب كلّ فئة منهم، ففى رؤية زيد كان يمكن لعائشة أن تكون امّاً للمؤمنين وتتمتّع بمميّزات هذا اللقب، إذا ما قرّت فى بيتها وانشغلت بدور ربة البيت، وإن لم تفعل فليست للمؤمنين بامّ ولا يمكن لزيد أن يكون ابناً لها. لقد أشار زيد إلى ما رسمه القرآن الكريم فى آيات النساء وخطّه كمنهج وبرنامج عملى لنساء النبىّ صلى الله عليه و آله وذكّر عائشة به، فطالبها بالرجوع إلى بيتها، وأن تترك أمر الرجال للرجال، ودون ذلك فلا حرمة لها ولا حقّ لها بالافتخار بلقب «امّ المؤمنين»، بل إنّ زيداً أشار إلى وظيفة اخرى تترتّب على عموم المسلمين فى مثل هذه الحالات، وهى الأخذ على يد الناكث، وسل السيف فى وجه عائشة ومنابذتها حتّى يردّها إلى بيتها ويجتثّ الفتنة. ويذكر الطبرى أنّ زيداً كان يقول عقب هذه الرسالة: «رحم اللَّه امّ المؤمنين، امرت أن تلزم بيتها وامرنا أن نقاتل، فتركت ما امرت به وأمرتنا به، وصنعت ما امرنا به ونهتنا عنه» «۱». ونرى هنا أنّ زيداً يعلم بأنّ الآية الكريمة وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ تأبى لعائشة ما تكلّفته من دور، وتحظر عليها ما تصدّت له من مهمّة ادّعت أنّ الوظيفة والواجب الشرعى يمليه عليها، فركبت جملها وخرجت تدّعى الطلب بدم عثمان! وهو يعلم كذلك أنّ آية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.. أوكلت أمر زعامة الامّة وإمامتها لأمير المؤمنين الذى هو من «أهل البيت عليهم السلام»، وأنّ عليه نصرة هذا الإمام والدفاع آية التطهير، ص: ۳۰ عنه حينما تشتدّ المحنة ويحتدم الصراع فى ميادين الحروب. إنّ حديث وفعل زيد، كلامه وموقفه العملى، يكشف عن علمه بأنّ قضايا الإسلام المصيرية لم توكل إلى النساء، وبأنّ آية التطهير إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.. لم تطهّر عائشة ولم تنزّهها؛ لأنّها ما نزلت فى شأنها، لذا فهو عَجِبٌ ومذهول، عَجَب استنكار وذهول رفض من تصرّفات عائشة. فما كان لزيد أن يتردّد ويرتاب فى موقف عائشة لو أنّه كان يرى أنّ آية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ... قد نزلت فى امّهات المؤمنين وشملتهنّ، وأنّ الإرادة التكوينيّة للَّه سبحانه وتعالى عصمتهنّ عن الرجس والعيب والخطأ، وما كان ليصف عملها هتكاً لحدود اللَّه ومخالفة لأحكامه، وكأنّى به يقول: إنّ عمل عائشة هو حجّة على الآخرين إذ نزّهها اللَّه، وأراد إرادة تكوينية أزلية أن لا ترتكب خطيئةً ولا خطأً، فلا يصحّ أن نشكّ فى أعمالها ونتردّد فى مواقفها، ولكنّنا نجد فى المقابل أنّ جملة واحدة مختصرة من امّ سلمة أقنعته بتولّى أمير المؤمنين عليه السلام وطاعته ما قاله حال استشهاده. لماذا يعتمد زيد بن صوحان رضوان اللَّه عليه حديث امّ سلمة فى حقّ علىّ عليه السلام ويبادر فى اتخاذه حجّة، وفى المقابل يصف سلوك عائشة هتكاً لحرمات الإسلام ومخالفة للشريعة الغرّاء؟ هل الأمر إلّارؤيته وفهمه بأنّ آية

التطهير لا تشـمل عائشة وزوجات النبى صـلى الله عليه و آله، وأنّ الرعاية الربّانيّة فى العصمة والتنزيه تشمل عليّاً عليه السلام وبقية أهل البيت عليهم السـلام فقط، وأنّ امّ سـلمة رضـى اللّه عنها صارت أهلًا للثقة والاعتبار؛ لتمسّكها بالوظائف وعملها بالواجبات التى شرعها القرآن الكريم لخصوص نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله، فبلغت آيـة التطهير، ص: ٣١ ذلك المسـتوى من الوثاقة بحيث ضحّى الرجل بنفسه وبلغ الشـهادة فى سبيل الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السـلام اعتماداً على حديث نقلته رضوان اللّه عليها عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى حقّ علىّ عليه السلام وفضله؟

## موقف ابن عبّاس

موقف ابن عبّـاس: لمّـا هزم أمير المؤمنين على بن أبى طـالب عليه السـلام أصـحاب الجمل بعث عبـداللّه بن عبّاس إلى عائشـة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلّة العرجة. قال ابن عبّاس: «فأتيتها وهى فى قصـر بنى خلف فى جانب البصـرة، فطلبت الإذن عليها فلم تأذن، فدخلت عليهـا من غير إذنهـا، فـإذا بيت قفـار لم يعـدّ لى فيه مجلس! فإذا هى من وراء سترين فضـربت ببصـرى فإذا فى جانب البيت رحل عليه طنفسـة، فمـددت الطنفسـة فجلست عليها، فقالت من وراء الستر: يا ابن عبّاس أخطأت السـنّة! دخلت بيتنا بغير إذننا وجلست على متاعنا بغير إذننا، فقال ابن عبّاس رحمه الله: نحن أولى بالسـنّة منك، ونحن علّمناك السـنّة وإنّما بيتك الذى خلّفك فيه رسول اللّه صـلى الله عليه و آله فخرجت منه ظالمة لنفسك غاشـية لدينك عاتية على ربّك عاصـية لرسول اللّه صـلى الله عليه و آله فإذا رجعت إلى بيتك لم نـدخله إلّابإذنـك، ولم نجلس على متاعـك إلّابأمرك...» «۱» . إنّ قول ابن عبّـاس هـذا- وهو حـبر الأمّـة ومفسِّر القرآن- يـبيّن أنّ الآيـات الواردة فى نسـاء النـبىّ صـلى الله عليه و آله حظرت عليهنّ التـدخّل فى القضايـا آيـة التطهير، ص: ٣٢ السياسـية، وأنهنّ يفقدن اعتبارهنّ بل ويفقدن حتّى ما للمرأة المسـلمة العادية من احترام إذا ما تخلّفن عن الالتزام بهذه الآيات والأحكام. كانت هذه نماذج من فهم وانتزاع وعمـل بعض رموز الطبقـة الاـولى من شخصيات الإسـلام حول آيات نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله، ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر توخّياً للاختصار وحذراً من الإطالة.

## المهمّة والدور الآخر

### ١- فى سقيفة بنى ساعدة

#### اشارة

١- فى سـقيفة بنى ساعـدة: بعـد وفاة النبىّ صـلى الله عليه و آله تنازع المهاجرون والأنصار، وكان أوّل من تجمّع فى السـقيفة عـدّة من الأنصـار من الـذين نهضوا بنصـرة رسول اللّه صـلى الله عليه و آله عنـد هجرته إلى المدينـة، وكان سعد بن عبادة أكثرهم سـعياً لتولّى الخلافة والاستحواذ عليها، ولكن أبا بكر وعمر لم يدّخرا آية التطهير، ص: ٣٣ وسعاً فى إيصال أنفسهما سريعاً إلى السقيفة «۱» حتّى لا تـذهب جهود سـنين متماديـة قضـياها فى التخطيط والعمل لهذا اليوم، تذهب أدراج الرياح باسـتباق الأنصار! وفى ذلك الجمع الغاصّ والمحفل الملتهب والأجواء المضـطربة بدأ أبو بكر الكلام فخطب، وكان آخر ما اقترحه أن تكون الإمرة للمهاجرين والوزارة للأنصار، ولكن اقتراحه هـذا سـقط بمعارضـة حبّاب بن منـذر الـذى كان من زعماء الأنصار، وكاد الأمر أن يتمّ على هوى سـعد بن عبادة ووفقاً لمراده، لولا تـدخّل ابن عمّه بشـير بن سـعد الخزرجى فى موقف مفاجئ رجّح فيه أن تكون الزعامة للمهاجرين، وأن يوكل الأمر إلى أحد رؤوس قريش، ولم يكن بشير هذا على ما يرام مع ابن عمّه سعد، وما كان موقفه يخلو من دواعى المنافسة والحسد له، وبعد جدل ومناظرة وخبط ولغو امتـدّ طويلًا ووسط غوغاء وفوضـى ومعارضـة هـذا وذاك خُلعت الخلافـة على أبى بكر... طرب عمر لهذا الحدث وانتشـى، ورأى أنّ أحلامه السـعيدة فى طريقها للتحقّق من خلاله، وأنّه سـيكون فارس الميدان وله فرس السـبق فى الساحة الإسـلامية،

ولكن في الوقت نفسه كـان هاجس عليّ عليه السلام يقضّ مضجعه، ترى هل يشمّر ابن أبي طالب عليه السلام عن ساعده ويطالب بحقّه؟ آيـة التطهير، ص: ۳۴ وحسماً لهـذا القلق عمـد إلى دار عليّ عليه السلام واقتاده إلى أبي بكر «۱»، فامتنع عليّ عليه السلام عن البيعـة وأصرّ على امتنـاعه، ولم يكن عمر ليخلّي سبيل أمير المؤمنين عليه السلام، فما كان من شبل ابن أبي طالب عليه السلام إلّاأن فجّرها في وجهه: «احلب يا عمر حلباً لك شطره! اشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً، ألا واللّه لا أقبل قولك ولا ابايعه» «۲» . وهنا نعق المرتزق الأجير أبو عبيـدة، ولم يكن يملك من دليل لدفع الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام إلّاحداثة سنّه! وفي ردّ هذه الأباطيل والترّهات نهض أمير المؤمنين عليه السلام باحتجاجه القاصم، وكان ممّا استدلّ به آية التطهير، وهذا نصّ حديثه صلوات اللّه عليه: «يا معشر المهاجرين، اللّه اللّه، لا تُخرجوا سلطان محمـد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فواللّه يـا معشر المهـاجرين لنحنُ أهـلَ البيت أحقُّ بهـذا الأمر منكم. أما كان منّا القارئ لكتاب اللّه، الفقيه في دين اللّه، العالم بالسنّة، المضطلع بـأمر الرعيـة، واللّه إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بُعـداً» فقال بشير بن سعد: لو كان هـذا الكلام سمعَتْه منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان، ولكنّهم قد بايعوا «۳».

## إلتفاتة أدبية

إلتفاتـة أدبيـة: يرتكز الاستدلال هنا على نقطـة أدبية لطيفة جاءت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ يقول سلام اللّه عليه: «نحنُ أحقُّ بهذا الأمر» وهي جملة آيـة التطهير، ص: ۳۵ اسمية ذات مبتدأ وخبر تخلّلتهمـا عبارة «أهل البيت» وقـد وردت في حـديث أمير المؤمنين عليه السلام بفتح «أهلَ» على ما ورد في نقل ابن أبي الحديـد، خلافاً للقاعـدة النحويـة التي توجب رفع «أهل» على البدليـة، وهـذا ممّا يـدلّ على الاختصاص وإشارتها للآية الكريمة لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ.. كما جاءت في الآية منصوبة للاختصاص، من قبيل قوله «نحن معاشرَ الأنبيـاء...» «۱» حيث جـاءت «معاشرَ» منصوبـة للاختصـاص وإفادة الحصر. من هنا يصبح معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام هو: إنّنـا أهـل البيت- ولاـ غير- أحقّ منكم أيّها المهاجرون بالزعامـة والخلافـة، وأنّه ثوب لا يليق إلّابنا على نحو الحصر ووجه التعيّن، كما ذهبت الآيـة فيما قرّرته من أنّ الطهارة وبالتالي الزعامـة محصورة ومختصّة بأهل البيت، وهكذا نجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وهو في معرض الاستدلال والمحاججـة على أحقّيته بالخلافـة في ذلـك المحفـل المُصطنع وأمـام ترّهـات أبي عبيـدة، يكتفي بالاحتجاج بآيـة التطهير لإثبات حقّه، مع المندوحة والسعة وما هو مبذول لديه ومبثوث في أيدي المسلمين من فضائل وكمالاـت ومرجّحـات تشكّل شـهادات وبراهيـن قاطعـة على أعلميته وأعـدليّته وأقربيّته من رسـول اللّه صـلى الله عليه و آله، وبالتـالي وجوب وضـرورة تقدّمه وتأخّر غيره... مع كلّ ذلك نجده سلام اللّه عليه يكتفي بسوق هذه الآية والاحتجاج بها، وقد كانت دلالة هذه الآية من الوضوح والتسالم بحيث عقّب بشير بن سعد قائلًا: لو كان هذا الكلام سمعَتْه منك الأنصار يا عليّ آية التطهير، ص: ۳۶ قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنّهم قد بايعوا.

## ۲- في الشورى

۲- في الشورى: يروى السيّد هاشم البحراني قـدّس اللّه نفسه الزكيـة- وهو من أجلّة علماء ومحدِّثي القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجري، وله مؤلّفات كثيرة، منها تفسيره المعروف «البرهان»- في كتابه «غاية المرام» في الصفحة ۲۶۵ عن ابن بابويه القمي حـديثاً معتبراً عن عامر بن واثلة، وهو من كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وضمن تلك الرواية نلمح هذه العبارة، ثمّ ذكر ما احتج به أمير المؤمنين عليه السلام على أهل الشورى، فقال في ذلك: نشدتكم هل فيكم أحدٌ أنزل اللّه فيه آية التطهير على رسوله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً...؟ قالوا: اللهمّ لا» «۱». ويلاحظ هنا أنّ أُسلوب المولى سلام اللّه عليه في المحاججة لا يكتفي بالتقرير بل يأخذ شكل الاستفهام، وأنّه يدين القوم بألسنتهم وبما لا يمكنهم إنكاره، فيقول: هل نزل في أحد

منکم آیهٔ التطهیر؟ إذن فإمامنا العزیز سلام اللَّه علیه أشار فی موضعین حسّاسین إلی الآیهٔ الکریمهٔ، وأنّها تثبت استحقاقه وتعیّن الأمر فیه بمفهوم: أنّ آیهٔ التطهیر حسمت مسألهٔ القیادهٔ، وأن من قصدتهم الآیهٔ هم الوحیدون آیهٔ التطهیر، ص: ۳۷ القادرون علی إمامهٔ المسلمین والنهوض بزعامتهم: الأوّل: عند وفاهٔ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وفی خضم تعیین الخلیفهٔ، ولم یکن قد مضی الکثیر فی ذلک الحین من زمن نزول الآیهٔ. الثانی: فی شوری عمر السداسیهٔ التی أوکل إلیها تعیین الخلیفهٔ من بعده، وتمکّن بالاحتیال بها من إقصاء علیّ علیه السلام عن حقّه مرّهٔ ثالثهٔ هناک فی تلک الشوری، التی تشکّلت بعد ثلاث عشرهٔ سنهٔ تقریباً من وفاهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله، وثلاث عشرهٔ سنهٔ وبضعهٔ شهور علی نزول آیهٔ التطهیر، نجد أنّ علیاً علیه السلام یذکّرهم بها، ویطرح من جدید أولویته بخلافهٔ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وانفراده دونهم بهذا الحقّ من خلال التذکیر والاستدلال بآیهٔ التطهیر الشریفهٔ.

### ۳- فی خلافهٔ الإمام الحسن علیه السلام

۳- فی خلافهٔ الإمام الحسن علیه السلام: عندما آلت الخلافهٔ إلی السبط الأکبر الإمام الحسن بن علی علیهما السلام قام خطیباً فقال: «أیّها... الناس من عرفنی فقد عرفنی، ومن لم یعرفنی فأنا الحسن بن محمّد النبیّ صلی الله علیه و آله،... أنا ابن البشیر، أنا ابن النذیر، وأنا ابن الداعی إلی اللَّه، وأنا ابن السراج المنیر،... وأنا من أهل البیت الذین أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً» «۱» . نری هنا کیف أنّ ثانی أئمّهٔ المسلمین فی معرض استدلاله علی کفاءته ولیاقته لمسند الإمارهٔ والخلافهٔ یشیر- فضلًا عن تمیّزه النَسَبی- آیهٔ التطهیر، ص: ۳۸ إلی آیهٔ التطهیر ویستشهد بها. ولو لم تکن هذه الآیهٔ فی معرض تعریف وتحدید خصائص القائد وممیّزاته وما یجب أن یتحلّی به من العدالهٔ والعصمهٔ والبراءهٔ من کلّ عیب ونقص لما استدلّ واستشهد بها ثانی أئمّهٔ الهدی صلوات اللَّه علیه لإثبات حقّه ومشروعیّهٔ تصدّیه لهذا المقام. إنّ هذه الشواهد الحیّهٔ تفیض دلالهٔ علی مکانهٔ أهل البیت علیهم السلام واختصاصهم بالولایهٔ والإمامهٔ، وخروج الزوجات من هذا العنوان... آیهٔ التطهیر، ص: ۳۹

## النکتهٔ الثانیهٔ: البحث فی شأن نزول الآیهٔ وترتیبها

### اشارهٔ

النکتهٔ الثانیهٔ: البحث فی شأن نزول الآیهٔ وترتیبها سنتعرّض فی هذا المبحث لأمرین مهمّین: ۱- هل جملهٔ إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. نزلت بصورهٔ منفصلهٔ عن آیات النساء، أم أنّها جاءت فی سیاق تلک الآیات وأعقبتهنّ؟ ۲- وإن کان نزولها منفصلًا، فلماذا جاء ترتیبها بعد آیهٔ وَقَرْنَ فِی بُیُوتِکُن ولم تنفرد بآیهٔ مستقلّهٔ؟ ۱- استقلالیهٔ جملهٔ إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. حتّی نقف علی موقع الآیهٔ من حیث الاستقلال والانفصال، لابدّ أن نرکّز التحقیق علی شأن النزول، إذ سیتّضح لنا أنّ جملهٔ إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. نزلت فی شأن خاصّ ولقضیّهٔ هامّهٔ، وواقعهٔ وظرف زمانی ومکانی منفصل تماماً عن ظرف آیات النساء، ومن الطبیعی أن لا سبیل للبحث فی شأن النزول إلّابتتبع الأخبار الواردهٔ عن طرق العامّهٔ والخاصّهٔ. وغایهٔ ما نستفیده من البحث القرآنی والتدبّر فی تلک الآیات أنّ جملهٔ إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. لمّا جاءت فی إثر آیات النساء، وعقب آیهٔ وَقَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ.. فلا مناص من القول بأنّها نزلت جمیعاً فی واقعهٔ واحدهٔ، إذ أنّنا نعتقد بأنّ منهج تدوین القرآن الکریم- الذی تمّ آیهٔ التطهیر، ص: ۴۰ بأمر من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله- وترتیب الآیات فیه خاضع لقاعدهٔ خاصّهٔ یحکمها ترابط الآیات، وطبقاً لهذا الأصل المتّفق علیه فنحن نری أن آیهٔ إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. نزلت فی حال توجّه الخطاب الإلهی لزوجات النبیّ صلی الله علیه و آله بجملهٔ من الوظائف والواجبات المفروضهٔ علیهنّ. من هنا یتّضح أنّه لا سبیل للتحقّق من نزول هذا المقطع إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. بشکل منفصل عن بقیّهٔ الآیات إلّابتتبع الروایات التی تتحدّث عن شأن نزول هذه الآیهٔ. ومع کثرهٔ هذه الروایات- حتّی إنّ المحدّث الکبیر السیّد هاشم البحرانی نقل فی «غایهٔ المرام» إحدی وأربعین منها من طرق العامّهٔ، وأربعاً وثلاثین روایهٔ من طرق الإمامیّهٔ «۱»- لابدّ فی

البدایة من سرد بعض هذه الروایات، ونری أن نبدأ بما روی من طرق العامّة.

### ۱- استقلالیة جملة

### اشارة

القسم الأوّل: روایات العامّیة هـذه مجموعـة من الروایات المعتبرة، المرویّة بأسانیـد معتمدة وفق قواعد أبناء العامّة فی الجرح والتعدیل وتصـحیح الأسانید، ممّا ذکر فی کتاب «تفسـیر ابن کثیر» الذی یُعدّ من أشـهر تفاسیرهم، نسردها بحذف الإسناد توخّیاً للاختصار. ۱- تقول أمّ سـلمة- رضـی اللّه عنها-: إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله کان فی بیتها، فأتته فاطمة- رضی اللّه عنها- ببرمة فیها خزیرة، فدَخَلتْ علیه بهـا، فقـال لهـا: أُدعی زوجـک وابنیک، قالت: فجاء علیٌّ وحسنٌ وحسـینٌ- رضـی اللّه آیـة التطهیر، ص: ۴۱ عنهم- فـدخلوا علیه فجلسوا یأکلون من تلک الخَزیرة وهو علی منام له، وکان تحته صـلی الله علیه و آله کساء خیبریّ. قالت: وأنا فی الحجرة اصـلّی، فأنزل اللّه عزّوجلّ هـذه الآیـة: إِنَّمَا یُرِیـدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ... قالت- رضـی اللّه عنها-: فأخذ فضل الکساء فغطّاهم به، ثمّ أخرج یده فألوی بها إلی السماء، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بیتی وخاصّتی فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً، قالت: فأدخلت رأسی البیت فقلت: وأنـا معکم یـارسول اللّه؟ فقـال: إنّـک إلی خیر، إنّک إلی خیر «۱» . ۲- عن حکیم بن سـعید قـال: ذکرنـا علیّ بن أبی طالب- رضـی اللّه عنه- عند أمّ سلمة- رضی اللّه عنها- فقالت: فی بیتی نزلت إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ...، قالت أمّ سلمة: جاء رسول اللّه صلی الله علیه و آله إلی بیتی فقال: لا تأذنی لأحد، فجاءت فاطمة- رضی اللّه عنها- فلم أستطع أن أحجبها عن أبیها، ثمّ جاء الحسن- رضی اللّه عنه- فلم أسـتطع أن أمنعه أن یـدخل علی جـدّه وامّه، وجـاء الحسـین- رضـی اللّه عنه- فلم أسـتطع أن أحجبه عن جـدّه وامّه، ثمّ جاء علیّ- رضـی اللّه عنه- فلم أسـتطع أن أحجبه، فـاجتمعوا فجلّلهم رسول اللّه صـلی الله علیه و آله بکسـاء کـان علیه، ثمّ قال: هؤلاء أهل بیتی فـأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً، فنزلت هـذه الآیـة حین اجتمعوا علی البساط. قالت: فقلت: یارسول اللّه وأنا؟ آیـة التطهیر، ص: ۴۲ قالت: فواللّه ما أنعم، وقال: إنّک إلی خیر «۱» . ۳- عن أبی سعید الخدری، عن امّ سلمة- رضی اللّه عنها- قالت: إنّ هذه الآیة نزلت فی بیتی: إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ... قالت: وأنا جالسة علی باب البیت، فقلت: یارسول اللّه ألستُ من أهل البیت؟ فقال صـلی الله علیه و آله: إنّک إلی خیر، أنت من أزواج النبی. قالت: وفی البیت رسول اللّه وعلی وفاطمـة والحسن والحسـین رضـی اللّه عنهم «۲» . ۴- عن أبی سعید- رضی اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه: نزلت هذه الآیة فی خمسة: فیّ وفی علیّ وحسن وحسین وفاطمة: إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ... «۳» . ۵- عن صـفیة بنت شـیبة قـالت: قالت عائشـة: خرج النبیّ صـلی الله علیه و آله ذات غـداة وعلیه مرط مرجل من شـعر أسود، فجاء الحسـن فأدخله معه ثمّ جاء الحسـین فأدخله معه، ثمّ جاءت فاطمـة فأدخلها معه، ثمّ جاء علی فأدخله معه، ثمّ قال: إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ... «۴» . ۶- عن العـوام یعنی ابن حوشب قـال: دخلت مع أبی علی عائشـة فسألتهـا عن علی- رضـی اللّه عنه- فقـالت: تسـألنی عن رجـل کـان من آیة التطهیر، ص: ۴۳ أحبّ الناس إلی رسول اللّه صـلی الله علیه و آله، وکانت تحته ابنته وأحبّ الناس إلیه؟ لقد رأیت رسول اللّه صلی الله علیه و آله دعـا علیّاً وفاطمـة وحسـناً وحسـیناً رضـی اللّه عنهم فـألقی علیهم ثوبـاً فقـال: اللهمّ هؤلاـء أهـل بیتی فـأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً. قالت: فدنوت منهم فقلت: یارسول اللّه وأنا من أهل بیتک؟ فقال صلی الله علیه و آله: تنحّی فإنّک إلی خیرٍ «۱» .

### القسم الأوّل: روایات العامّة

### نظرة فی الروایات العامّة

نظرة فی الروایات العامّة: تتّفق الروایات التی تنتهی إلی امّ سـلمة وعائشة وتلتقی علی أمر مهمّ؛ هو أنّ آیة التطهیر إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. نزلت

فى دار ومخدع امّ سلمة، وأنّه كان يخلو حين نزول هذه الآية الشريفة إلّامنها ومن النبىّ صلى الله عليه و آله وعلى وفاطمة والحسنين عليهم السلام، ولم يكن هناك أحد من الأعراب، وهى تقرّ قائلة: مع أنّنى كنت فى الدار وكنت إلى جواره، ومع شديد شوقى وتطلّعى أن اشرَك فى هذه الفضيلة وأن تشملنى الآية، إلّا أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله أبى ذلك وردّنى بلباقة ودماثة خلق. ومع ما يلحظ من تفاوت فى ألفاظ النصّين الأوّلين ومضمونيهما، إلّا أنّ ذلك لا يخدش بحال بالنتيجة التى خلصنا إليها، وهى أنّ الآية نزلت فى دار امّ سلمة، وأنّه لم يكن هناك فى ذلك الحين أحد سواها والنفر الذين نزلت الآية فى حقّهم: فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام. يُحتمل بقوّة أنّ الحديث الرابع الذى يرويه أبو سعيد، عن النبىّ صلى الله عليه و آله هو نفسه الحديث الثالث الذى يرويه عن امّ سلمة، والظاهر أنّ اسمها سقط من السند، وكلا الاحتمالين يثبتان حقيقة نزول هذه الآية فى الخمسة أصحاب الكساء صلوات اللّه عليهم. وفى الرواية الخامسة تعترف عائشة أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله تلا تلك آية التطهير، ص: ۴۴ الآية فى حقّهم: على وفاطمة والحسنين عليهم السلام، ولكن بصورة يلفّها شىء من الإبهام والغموض! فلا إشارة إلى مكان النزول وفى بيت مَنْ مِن أزواج النبىّ صلى الله عليه و آله نزلت، ولعمرى ما نظنّها- وهى الشابّة قويّة الذاكرة- كانت ستنسى، أو ما كانت ستذكر وتمرّ مرور الكرام على مكان نزول الآية لو كان فى بيتها! وهذا بحدّ ذاته قرينة أُخرى على أنّ الآية نزلت فى دار أمّ سلمة، ولكنّها غَيْرَة النساء و «الحسد داء الضرائر»! ونقل الحديث السادس لما يحويه من اعتراف الزوجة الشابّة الصريح بأنّ أهل البيت الذين أرادتهم آية التطهير هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام، وهى تقرّ وتعترف أنّ زوجها رسول اللّه صلى الله عليه و آله قد صرّح لها بأنّها «ليست من أهل البيت عليهم السلام» مع أنّ عائشة كانت جزءاً من عائلة النبىّ، هذا يكشف عن تقصّد النبىّ وتعمّده إخراجها من شمول الآية الشريفة، وأنّها شخصياً وقفت على هذا المعنى بحيث لم يمكن لها إلّا الاعتراف به.

## لا معارض لهذه الأحاديث

لا معارض لهذه الأحاديث: وباستقصاء ما ورد فى الباب من روايات العامّة يتبيّن عدم وجود رواية مُعارضة لهذه الروايات الستّة أو ما يعارض مضمونها. وإن لم تتعرّض بعض الروايات لكيفية النزول، ولم يكن فى بعضها الآخر ذكر لمحلّ نزول الآية والبيت المخصوص من بيوت النساء الذى نزلت فيه، أو أنّ الرواة اكتفوا بذكر أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: إنّ آية التطهير إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. نزلت فى الخمسة أصحاب الكساء، أو أنّه صلى الله عليه و آله تلاها فى حقّهم، آية التطهير، ص: ۴۵ أو أنّ الرواة استشهدوا بها فى مقام ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ هذا لا- يتنافى مع ما نحن بصدد إثباته، إذ لا يفترض- على القاعدة- فى الرواة أن يسردوا ويتناولوا جميع الجزئيات التى واكبت الحدث بشكل تفصيلى، فقد ينقل بعضهم جانباً والبعض الآخر جانباً غير الأوّل، ولكن ما التقى عنده جميع الرواة ولم يعارضه أحد منهم هو أنّ نزول الآية كان فى شأن الخمسة أصحاب الكساء: محمّد وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وبهذا يتحقّق المطلوب. هكذا يتّضح أنّه لا يوجد أى مُعارض لهذه الروايات الستّ ومضامينها، وحرىّ برجال التحقيق للمزيد من التثبت، مراجعة امّهات المصادر كالصحاح الستّة، تفسير ابن كثير، تفسير الدر المنثور، تفسير الطبرى، أو كتاب غاية المرام لسيّدنا المحدِّث الجليل السيّد هاشم البحرانى- أعلى اللّه مقامه- الذى جمع جملة من هذه الأحاديث. نعم، وردت هناك رواية تتعارض مع هذه الستّة، وهى رواية زينب بنت جحش إحدى زوجات النبىّ صلى الله عليه و آله، التى نقلت أنّ آية التطهير إنّما نزلت فى بيتها، وقد كان علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلى جنب رسول اللّه صلى الله عليه و آله حين نزول الآية الشريفة، وواضح هنا أنّ التعارض لم يمس إلّامكان النزول دون من نزلت فى حقّهم. ولكن الروايات التى تحدّد مكان النزول على أنّه بيت امّ سلمة رضوان اللّه عليها مستفيضة، ولا يمكن لرواية أو روايتين معارضتين أن تواجه هذا السيل المتدفّق، وهنا يسقط المعارض تلقائياً عن الاعتبار. هذا، مع أنّ رواية زينب لا تخدش ما توخّيناه وأثبتناه كونها تناولت حيثيّات وتفاصيل القضية من زاوية أخرى هى مكان

نزول آیـهٔ التطهیر، ص: ۴۶ الآیـهٔ الشـریفهٔ، وهـذا لا یمس- کما أسـلفنا- شأن النزول وبأنّ الآیهٔ نزلت فی حقّ أهل البیت صـلوات اللَّه وسلامه علیهم، بل أنّها أقرّت بذلک وأمضته.

## ملکیون أکثر من الملک

### اشارهٔ

ملکیون أکثر من الملک! ومع أنّ زوجَتی النبیّ صلی الله علیه و آله؛ امّ سلمهٔ وعائشهٔ اعترفتا وأذعنتا بأنّ آیهٔ التطهیر لم تُردهما ولم تُرد أیّاً من نساء النبیّ صـلی الله علیه و آله، وأنّها تختصّ بالخمسهٔ أصـحاب الکساء، إلّاأنّ هناک من أبی إلّاأن یُدخل نساء النبیّ صـلی الله علیه و آله فی خصوص الآیـهٔ ویلحقهنّ بأهـل البیت علیهم السـلام، بـل یختصّـهنّ بهـا دون أهـل البیت! هنـا نسـلّط الضوء علی هؤلاء ـ «المتطفّلین»، وینقسـمون إلی طـائفتین: الاـولی، بعض رواهٔ صـدر الإسـلام أمثال عکرمـهٔ، مقاتل بن سـلیمان، وعروهٔ بن الزبیر. والطائفهٔ الثانیهٔ، جمع من مفسِّری العامّهٔ.

## الطائفهٔ الأولی

### اشارهٔ

الطائفـهٔ الأولی: ینبغی التنویه إلی أنّ هذه الطائفهٔ طرحت بشـکل عام موقفها من الآیهٔ من منطلق رؤیتها الشخصـیهٔ وتحلیلها الخاص، لا أنّها تنسبه بروایهٔ إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أو أزواجه أو صحابته، ومن المسلّمات أنّ آراء هؤلاء لا تضفی علی الموضوع أیّهٔ مشـروعیهٔ ولا تشـکِّل أیّـهٔ حجّـهٔ، إذ تبقی آراؤهم الخاصّـهٔ، هـذا لو لـم یکونوا مطعونین ومشـکوکین فکیف وقـد کانوا کذلک؟! هذا عکرمـهٔ یقول: «إنّ آیـهٔ التطهیر لاـ تشـمل إلّانسـاء النبیّ صـلی الله علیه و آله»! آیـهٔ التطهیر، ص: ۴۷ ویمعـن ویغرق فی الأـمر إلی حدّ الـدعوهٔ إلی مباهلـهٔ من ینکر ذلـک، وکان یرفع صوته المنکر فی الأسواق منادیاً بأنّ آیـهٔ التطهیر نزلت فی نساء النبیّ! ولعمری ما قیمهٔ کلام عکرمهٔ وما هی خصوصیّهٔ هذا الرجل وما هو محلّه من الإعراب حتّی یرجّح رأیه علی رأی الآخرین؟! وینضمّ عروهٔ بن الزبیر إلی عکرمهٔ وصفّ مصـفّه فی الادّعاء وفی الردّ، أمّا ما ینسبه عکرمهٔ أو غیره إلی ابن عبّاس ویرویه عنه من نزول آیهٔ التطهیر فی نساء النبیّ صلی الله علیه و آله، فممّـا ینبغی البحث عنه فی الـدواعی والبواعث الـتی حـدت بهم إلی هـذا الاـفتراء، الـذی خـالفوا به مـا اتّفق علیه المعتبر من روایـات العامّـهٔ، ومـا صـرّحت به عائشـهٔ وأمّ سـلمهٔ، ولنبحث فی أفکارهم وشخصـیّاتهم ونسـتخلص البواعث علی مواقفهم تلک.

### عکرمهٔ (مولی ابن عبّاس):

عکرمـهٔ (مولی ابن عبّاس): یُعـدّ عکرمـهٔ من ألـد أعـداء أمیر المؤمنین علیه السـلام، ولا یبعـد أن یکون موقفه هذا تفریغاً لحقد أمَضّه، ولحساب شخصی أو غِلّ فی تصفیته! یذکر السیّد الجلیل العلّامهٔ شرف الدین فی کتابه «الکلمهٔ الغراء فی تفضیل الزهراء علیها السلام»: وکان عکرمـهٔ ینادی فی الأسواق «۱» تحاملًا علی أصـحاب الکساء، ولا عجب، فإنّ عکرمهٔ من الدعاهٔ إلی عداوهٔ علیّ علیه السـلام آیهٔ التطهیر، ص: ۴۸ والسـعاهٔ فی تضـلیل النـاس عنه بکـلّ طریـق. فعن یحیی بن بکیر قـال: قـدم عکرمـهٔ مصـر وهـو یریـد المغرب، قـال: فالخوارج الـذین هم فی المغرب عنه أخـذوا «۱». وعن خالـد بن عمران قـال: کنّا فی المغرب وعنـدنا عکرمـهٔ فی وقت الموسم فقال: وددت أنّ بیـدی حربـهٔ، فـاعترض بهـا من شـهد الموسم یمینـاً وشـمالًا- لبنـائه علی کفر عـدا الخوارج من أهـل القبلـهٔ-. وعن یعقوب

الحضرمی، عن جدّه قال: وقف عکرمهٔ علی باب المسجد فقال: ما فیه إلّاکافر، قال: وکان یری رأی الأباضیهٔ- وهم من غلاهٔ الخوارج- . وعن ابن المدینی: کان عکرمهٔ یری رأی نجدهٔ الحروری- وکان نجدهٔ من أشدّ الخوارج عداوهٔ لأمیر المؤمنین-. وعن مصعب الزبیری: کان عکرمهٔ یری رأی الخوارج. وعن عطاء: کان عکرمهٔ أباضیاً. وعن أحمد بن حنبل: أنّ عکرمهٔ کان یری رأی الصفریهٔ- وهم من غلاهٔ الخوارج أیضاً-. وحدّث أیّوب عن عکرمهٔ أنّه قال: إنّما أنزل اللّه متشابه القرآن لیُضلّ به!- فانظر إلی آرائه ما أخبثها-. وعن عبداللّه بن الحارث قال: دخلت علی علیّ بن عبداللّه بن آیهٔ التطهیر، ص: ۴۹ العبّاس فإذا عکرمهٔ فی وثاق، فقلت: ألا تتّقی اللّه؟ فقال: إنّ هذا الخبیث یکذب علی أبی «۱» . وعن ابن المسیب أنّه قال لمولی له اسمه برد: لا تکذب عَلَیّ کما کذب عکرمهٔ علی ابن عبّاس «۲» . تتبلور لنا صورهٔ وشخصیهٔ عکرمهٔ من هذه العبارات التی نقلها العلّامهٔ شرف الدین، وذکرها من مصادر العامّهٔ وکتبهم الرجالیهٔ المعتبرهٔ، فعکرمهٔ مفتر کذّاب، عدیم الضمیر والإیمان، لیس بثقهٔ، من ألدّ أعداء أمیر المؤمنین علیه السلام، ومن هنا یتّضح هدفه من تبنّی رأیه الشاذّ فی آیهٔ التطهیر، والسرّ فی هذا الشذوذ، وما هو إلّابغض علیّ علیه السلام وعداؤه له، واللهث فی سبیل إزاحهٔ منقبهٔ من مناقب علیّ علیه السلام، ونزع حلّهٔ زیّنه بها القرآن وخلعها علی غیره، وإن کان سعیه عن طریق نسبهٔ الحدیث إلی ابن عبّاس، فهذه هی طریقته فی الافتراء علی مولاه، وإلّا فإنّ النقل عن ابن عبّاس تعدّدت طرقه فی أنّ آیهٔ التطهیر لم تنزل فی نساء النبیّ صلی الله علیه و آله، وأنّها لم تشملهنّ، ومن هذه ما یرویه أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن میمون قوله: «... وأخذ رسول اللّه صلی الله علیه و آله ثوبه فوضعه علی علیّ وفاطمهٔ وحسن وحسین فقال: إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ آیهٔ التطهیر، ص: ۵۰ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» «۱» . وخلاصهٔ القول: أنّ رأی عکرمهٔ الجاهل بالقرآن، المعادی لأهل البیت ساقط عن الاعتبار، ولا حجّیهٔ له بتاتاً.

### مقاتل

مقاتل «۲»: أمّا مقاتل، فیذکر العلّامهٔ شرف الدین أعلی اللّه مقامه عنه «أنّه أیضاً کان عدوّاً لأمیر المؤمنین علیه السلام، وکان دأبه صرف الفضائل عنه حتّی افتضح بذلک. قال إبراهیم الحربی- کما فی ترجمهٔ مقاتل من وفیات الأعیان لابن خلکان-: قعد مقاتل بن سلیمان فقال- إطفاءً لنور أمیر المؤمنین علیه السلام-: سلونی عمّا دون العرش، فقال له رجل: آدم صلّی اللّه علیه وسلّم حین حجّ مَنْ حَلَقَ رأسه «۳»؟ فقال له: لیس هذا من علمکم. وقال الجوزجانی- کما فی ترجمهٔ مقاتل فی میزان الذهبی- کان مقاتل دجّالًا جسوراً، سمعت أبا الیمان یقول: قدم هاهنا فأسند ظهره إلی القبلهٔ وقال: سلونی عمّا دون العرش قال: وحدّثت أنّه قال بمثلها بمکّهٔ، فقام إلیه رجل فقال: أخبرنی عن النملهٔ أین آیهٔ التطهیر، ص: ۵۱ أمعاؤها؟ فسکت «۱». وکان مقاتل مع ذلک کلّه من کبار المرجئهٔ وغلاهٔ المشبهة بنص جماعهٔ، منهم: ابن حزم فی کتابه «الفصل» «۲» وعدّه الشهرستانی فی الملل والنحل من رجال المرجئهٔ «۳»، وقال أبو حنیفهٔ- کما فی ترجمهٔ مقاتل من میزان الاعتدال-: أفرط جهم فی نفی التشبیه حتّی قال: إنّه تعالی لیس بشیء، وأفرط مقاتل- یعنی فی الإثبات- حتّی جعله مثل خلقه، وقال أبو حاتم بن حبان البستی- کما فی ترجمهٔ مقاتل من تهذیب الکمال للمزّی-: کان مقاتل یأخذ عن الیهود والنصاری علم القرآن الذی یوافق کتبهم، وکان مشبّهاً یشبّه الرب عزّوجلّ بالمخلوقین، وکان یکذب مع ذلک فی الحدیث» «۴» ، «۵». وبهذه الترجمهٔ لمقاتل التی أثبتها العلّامهٔ الفقید شرف الدین من کتب القوم ومصادرهم یسهّل الحکم علی رأیه فی آیهٔ التطهیر، وما زعمه من نزولها فی نساء النبیّ صلی الله علیه و آله! فالتهافت نال وقدح فی شخصه وشخصیّته، ولیس مجرّد دعواه ومقالته. وحقّ أن نتمثّل: آیهٔ التطهیر، ص: ۵۲ تصدّر للتدریس کلّ مهوّس بلید یُسمّی بالفقیه المدرّس یحقّ لأهل العلم أن یتمثّلوا ببیت قدیم شاع فی کلّ مجلس لقد هزلت حتّی بدا من هزالها کلاها وحتّی رامها کلّ مفلس «۱»

### عروهٔ

عروهٔ: ثالث من کان یُؤَوِّل آیهٔ التطهیر بنساء النبیّ صلی الله علیه و آله هو عروهٔ بن الزبیر. یذکر صاحب قاموس الرجال فی ترجمهٔ

عروهٔ: «روی المسعودی فی مروجه عن حمّاد بن سلمهٔ قال: کان عروهٔ بن الزبیر یعذّر أخاه إذا جری ذکر بنی هاشم، وحصره إیّاهم فی الشعب وجمعه الحطب لتحریقهم، ویقول: إنّما أراد بذلک إرهابهم لیدخلوا فی طاعته کما ارهب بنو هاشم وجُمع لهم الحطب لإحراقهم فیما سلف «۲» (یعنی یوم السقیفهٔ). وقد تظاهرت الروایهٔ عن عروهٔ أنّه کان یأخذه الزمع عند ذکر علیّ علیه السلام فیسبّه ویضرب بإحدی یدیه علی الأخری ویقول: وما یمنعنی أنّه لم یخالف إلی ما نُهی عنه، وقد أراق من دماء آیهٔ التطهیر، ص: ۵۳ المسلمین ما أراق؟» «۱» . ویکفی هذا المقدار لبیان مستوی هذا الرجل ومدی عدائه ومعاندته لأمیر المؤمنین علیه السلام، وهکذا جهله وحقده، ویصدق فی حقّه أنّه ممّن لو ولج بحر القرآن المتلاطم لما حظی حتّی بقطرهٔ منه، ولو انقدحت من نفسه الخبیثهٔ شرارهٔ ما کانت لتوقد إلّامن لهیب الحقد، وإن نسب قولًا فما یفرغ إلّاعن الافتراء والبهتان!

**(جدید ۲)**

## القسم الثانی: روایات أهل البیت علیهم السلام

### اشارهٔ

القسم الثانی: روایات أهل البیت علیهم السلام تناول البحث فیما مضی الروایات الواردهٔ عن طرق العامّهٔ، وفی هذا الباب نستعرض بعض الأحادیث الشریفهٔ التی نقلت عن أهل آیهٔ التطهیر، ص: ۵۵ البیت علیهم السلام. تزخر کتب الشیعهٔ ومجامیعهم الروائیهٔ بأحادیث کثیرهٔ حول آیهٔ التطهیر ذکرت فی مواضع وبمناسبات مختلفهٔ، وقد أشرنا فی صدر البحث إلی الأربعهٔ وثلاثین حدیثاً التی نقلها السیّد هاشم البحرانی فی کتابه «غایهٔ المرام» وسنذکر هنا بعض الأحادیث التی أوردها المحدِّث الجلیل الشیخ عبد علی بن جمعهٔ العروسی الحویزی المتوفّی (۱۱۱۲ ه) فی تفسیره القیم «نور الثقلین»: ۱- فی تفسیر علی بن إبراهیم: وفی روایهٔ أبی الجارود، عن أبی جعفر علیه السلام فی قول اللَّه عزّوجلّ: إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ.. قال: نزلت هذه الآیهٔ فی رسول اللَّه وعلیّ بن أبی طالب وفاطمهٔ والحسن والحسین صلوات اللَّه علیهم، وذلک فی بیت امّ سلمهٔ زوج النبیّ صلی الله علیه و آله، فدعا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله علیّ بن أبی طالب وفاطمهٔ والحسن والحسین صلوات اللَّه علیهم، ثمّ ألبسهم کساءً خیبریّاً ودخل معهم فیه، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بیتی الذین وعدتنی فیهم ما وعدتنی، اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً، فقالت أمّ سلمهٔ: وأنا معهم یارسول اللَّه؟ قال: أبشری یا أمّ سلمهٔ فإنّک إلی خیر «۱» . ۲- فی کتاب الخصال، فی احتجاج أمیر المؤمنین علیه السلام علی الناس یوم الشوری، قال: أنشدکم اللَّه هل فیکم أحدٌ أنزل اللَّه فیه آیهٔ التطهیر علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ... فأخذ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کساءً آیهٔ التطهیر، ص: ۵۶ خیبریّاً فضمّنی فیه وفاطمهٔ والحسن والحسین، ثمّ قال: یاربّ هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً غیری؟ قالوا: اللهمّ لا «۱» . ۳- فی کتاب کمال الدین وتمام النعمهٔ بإسناده إلی سلیم بن قیس الهلالی عن أمیر المؤمنین علیه السلام، أنّه قال فی أثناء کلام له فی جمع من المهاجرین والأنصار فی المسجد أیّام خلافهٔ عثمان: أیّها الناس أتعلمون أنّ اللَّه عزّوجلّ أنزل فی کتابه إِنّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ... فجمعنی وفاطمهٔ وابنیَّ حسناً وحسیناً وألقی علینا کساءً، وقال: اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بیتی ولحمتی یؤلمنی ما یؤلمهم ویحرجنی ما یحرجهم، فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهیراً، فقالت امّ سلمهٔ: وأنا یارسول اللَّه؟ فقال: أنت- أو إنّک- علی خیر، إنّما انزلت فیّ وفی أخی وابنتی وفی تسعهٔ من ولد ابنی الحسین خاصّهٔ لیس معنا فیها أحد غیرنا، فقالوا: کلّهم: نشهد أنّ امّ سلمهٔ حدّثتنا بذلک، فسألنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فحدّثنا کما حدّثتنا أمّ سلمهٔ رضی اللَّه عنها «۲». ۴- فی روایهٔ صحیحهٔ یرویها أبو بصیر، عن الإمام الصادق علیه السلام ننقل منها موضع الشاهد لما نحن بصدده: «... ولکن اللَّه عزّوجلّ أنزله فی کتابه لنبیّه صلی الله علیه و آله إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ... فکان علی والحسن والحسین وفاطمهٔ علیهم السلام، فأدخلهم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله تحت الکساء فی بیت أمّ سلمهٔ، ثمّ قال: اللّهمّ إنّ لکلّ نبیّ أهلًا وثقلًا وهؤلاء أهل بیتی آیهٔ التطهیر، ص: ۵۷ وثقلی. فقالت أمّ سلمهٔ: ألست من

أهلك؟ قال: إنّك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي» «۱» .

## تناسق الأخبار وانسجامها (ثمرة البحث)

تناسق الأخبار وانسجامها (ثمرة البحث): بلغ مجموع ما ذكرناه في القسمين عشر روايات شملت مختارات من الأحاديث المعتبرة المنقولة بالطريقين، ستّة أحاديث من طرق العامّة وأربعة من طرق الخاصّة: أي شيعة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ويقف المتتبع على تناسق قلّ نظيره بين هاتين الطائفتين من الأخبار على اختلاف طرق النقل وتباين المدارس المذهبية والعقائدية! واستناداً إلى هذه الأخبار العشرة يمكننا الخروج بنتائج واضحة نعرضها ملخّصة مختصرة كبنود أساسية تمثّل حصيلة البحث وثمرته: ۱- إنّ آية التطهير إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. نزلت مستقلّة ومنفصلة، وتدوينها ضمن الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب، بعد الآيات التي خاطب فيها الشارع المقدّس أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله وحدّد فيها بعض تكاليفهنّ، لا ـ يحمل أيّ مدلول على تتابع الخطاب واستمرار الموضوع. وهذه الثمرة هي الهدف الأساسي من هذا البحث. ۲- الآية الكريمة نزلت في بيت أمّ سلمة رضوان اللَّه تعالى عليها. ۳- إنّ امّ سلمة وعائشة كلتيهما اعترفتا بأنّ الآية لا تشملهنّ، بل أقرّتا بأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أكّد لهنّ بأنّ عليهنّ أن لا يتوقعن أن يكنَّ في نطاق آية تضع اسس بُنية المجتمع الإسلامي، وترسم الاستراتيجية الإسلامية آية التطهير، ص: ۵۸ في نوع وشكل ومصداق القيادة وامتداد خط الهدى من بعده، وهي العنصر الأساسي لضمان مستقبل الحركة، وعليهنّ أن يكتفين فخراً بصفة الزوجية، وأنّ السعادة في انتظارهنّ إذا ما عملن وتقيّدن بالأوامر والنواهي الإلهية التي رسمت حدودهنّ، وحظرت عليهنّ التدخّل في القضايا العامّة، والخوض في الشؤون السياسية وإثارة الفتن والمعوّقات في طريق الولاية والإمامة الحقّة للمسلمين، وكنموذج لحسن العاقبة وتحديد لصفتها طرحت الروايات امّ المؤمنين امّ سلمة رضوان اللَّه عليها، وهذه المرأة الجليلة العفيفة التي بشّرها النبيّ صلى الله عليه و آله بأنّها «إلى خير» أو «على خير»، وحدّثنا التاريخ كيف أنّ «الخير» كان في بقائها في بيتها بعيداً عن ميادين الحروب ومعتركات السياسية! ۴- المتواجدون في بيت امّ المؤمنين، وخير زوجات النبيّ صلى الله عليه و آله من الأحياء حين نزول الآية: أي بيت امّ سلمة، عدا النبيّ صلى الله عليه و آله هم أسرة تفيض فضلًا وفضيلة، رجل وزوجته وابناهما: عليّ وفاطمة والحسنان صلوات اللَّه وسلامه عليهم، أي ابن عمّ النبيّ وصهره وابنته وسبطاه عليهم السلام. ۵- نزول الآية الشريفة كان حين اجتماع الخمسة صلوات اللَّه عليهم لا قبل ذلك، هذا ما يُستفاد من الأحاديث المنتهية إلى أمّ سلمة وأبي سعيد الخدري، وهكذا الأحاديث الأربعة المروية عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام بما تقرّره من اختصاص الآية بالخمسة أصحاب الكساء وكونها غير ناظرة لغيرهم. ۶- دعاء النبيّ صلى الله عليه و آله لأهل بيته «اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» كان في المقام والمكان نفسه الذي نزلت فيه الآية، إذ آية التطهير، ص: ۵۹ عمد بعد نزول الآية مباشرة إلى ذويه وجمعهم تحت الكساء ودعا بدعاء «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي...»، وكأنّه صلوات اللَّه عليه وآله أراد تأكيد مضمون الآية وتحديد مصداقها على وجه الحصر، ودفع أيّ وهم قد يعتري أحداً من أنّها تشمل غيرهم. وبعبارة اخرى: يظهر أنّ للنبيّ صلى الله عليه و آله هدفاً عظيماً وغايةً ساميةً من وراء عملية جمع أهله وذويه تحت الكساء، وهي حصر واختصاص المقام الإلهي الشامخ الذي ناله المخاطبون في آية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ... بهؤلاء المجموعين تحت الكساء، حتّى لا يدّعي في الحاضر أو المستقبل أحد أنّه من المشمولين بالآية وينتحل لنفسه ذلك المقام الخطير؛ مقام العصمة والطهارة، الذي ما أراده الباري عزّوجلّ إلّا لقادة دينه وأئمّة خلقه وورثة رسوله، فجاء فعل النبيّ صلى الله عليه و آله، بل قوله أيضاً- إذ ما اكتفى بجمعهم تحت الكساء بل صرّح وهو يشير إليهم: «هؤلاء أهل بيتي...»- المباشر لنزول الآية؛ ليحسم الأمر ويقطع أيّ نزاع حاضر أو مستقبل حول دلالتها والمخاطبين فيها. ثمّ هلمّ لنرى التحامل والجهل كيف يصوّران واقعة الكساء والتجمّع الخاصّ المعين أمراً طبيعياً لم يكن يعني أكثر من استلقاء للراحة أعقب تناول وجبة دسمة من الطعام! وكيف أنّ تقادم الأيّام حوّل هذه الحادثة الطبيعية إلى فضيلة ومنقبة تُساق دليلًا ومستنداً للاستحواذ على زعامة المسلمين والتصدّي لمقام القيادة. ولعمري ماذا عسانا أن نقابل هذا الزعم الأجوف والقول الأعمى؟ ترى هل انحصر وقوع هذا

الحـدث «الطبيعي» مرّةً واحدةً فقط على مدى تلك السـنين المتمادية؟ ترى هل اجتماع النبيّ صـلى الله عليه و آله مع بقيّة آية التطهير، ص: ۶۰ أصـحاب الكساء عليهم السـلام لتناول الطعام لم يتحقّق إلّافى مرّة واحـدة، وأنّ الحاجـة إلى الاسـتلقاء والاستراحـة بعـد تناول الطعـام لم يكن إلّـافى ذلـك اليوم؟ أيّ تقاليـد وأعراف «طبيعيـة» تسـمح بالتقاء خمسـة أشـخاص من الأقرباء على ذلك النحو وبتلك الكيفيـة؟! ثمّ كيف يمكن للزمن وتقـادم الأيّام أن يؤثّر فى تحوير أمر طبيعىّ وتحويله إلى منقبـة وفضـيلة خاصّـة؟! كيف يمكن لأمير المؤمنين عليه السـلام أن يسـتند إلى «قضـيّة طبيعيّة» ويحتجّ بها فى مراحل متعدّدة من المعترك العسير، الذى كانت التيّارات السياسية المتنافسـة تتناهب فيه الزعامة وتتجاذبها، فيتّخذها عروة وثقى ويتمسّك بها دون غيرها، وهو علىّ عليه السـلام الذى يقول «ينحدر عنّى السيل، ولا يرقى إلىّ الطير...» «۱» ؟! لعمرى كم الحقيقة مُرّة، والإذعان لها عسـير بحيث يعمد الإنسان إلى طمسها وإسدال ستار الوهم عليها، ويعمل على إضـلال جمع ممّن خفيت عليهم! هل كلّ ما شـطح به الخيال ورسـمه قلم الكاتب على الأوراق هى حقائق؟ فما هو الفيصـل بين الحقّ والباطل إذن؟ وما هو السبيل لتمييز الصـلاح عن الفساد؟ لماذا نقلب الحقيقـة ونجحـدها ونحن نصوّر فضـيلة عظيمة طرحت منـذ البدايـة كعنوان مُعرّف لثلّة وجماعة خاصّة، وترسّـخت عبر أقوال وممارسات متكرّرة، نطرحها كحدث طبيعى وأمر عادى يـذهب بالمـدلول ويمحوه؟ ترى هل لهذا الفعل المشـين من تسـمية غير ظلم أهل آية التطهير، ص: ۶۱ البيت وإنكـار حقّهم؟! نعم، لا ريب فى أنّ هـدف النبىّ صـلى الله عليه و آله من جمع تلك الثلّة تحت الكساء وتعقيب ذلك بعبارة «هؤلاء أهل بيتى» كان سـلب أيّة صفـة وعنوان يفيـد التعميم من الآيـة، وأنّ زوجات النبىّ صـلى الله عليه و آله وعموم أقربائه وعشـيرته لا نصـيب لهم فى هذه الآية ولا اختصاص لهم بها، ومن هنا جاء قول الصادق عليه السـلام: «لو سكت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولم يبيّن مَنْ أهلُ بيته لادّعاها آل فلان وآل فلان...» «۱» وهـذا ممّا يؤكّد اهتمام النبىّ صـلى الله عليه و آله وحرصه على حسم هذا الأمر، فما اكتفى بالقول بل عمد إلى أسلوب مبتكر فى تحديـد المراد من أهـل البيت عليهم السـلام، بحيث أخرج امّ سـلمة- صاحبـة البيت- قولًا وعملًا من ذلك النطاق المقدّس، وحصـره بالخمسة عليهم السلام. ۷- إنّ آيـة التطهير تشـمل النبىّ صـلى الله عليه و آله أيضاً، ورواية أبى الجارود، عن الإمام الباقر عليه السـلام وأبى سـعيد الخدرى، عن النبىّ صلى الله عليه و آله تصرّح بهذا المعنى، وهذه النقطة ممّا يهمّنا التركيز عليها لدورها فى بيان معنى أهل البيت الذى سنتناوله لاحقاً.

## ۲- موقع الآية فى التدوين

### اشارة

۲- موقع الآية فى التدوين: هنا سؤال يطرح نفسه، بعد إثبات إنفصال آية التطهير واسـتقلاليتها فى النزول وشأنه والدلالة وما إلى ذلك ممّا مرّ فيه الحـديث، وهو: لماذا جاء تـدوينها فى هـذا الموضع بالـذات، فى ذيل الآيـة الثالثة آية التطهير، ص: ۶۲ والثلاثين من سورة الأحزاب؟ قبل الـدخول فى جواب هذا السؤال والبحث فى هذه النكتة الهامّة، لابدّ من ملاحظة المنهج القرآنى والقواعد التى تمّ وفقها تدوين القرآن الكريم وترتيب آياته.

### ترتيب الآيات

ترتيب الآيـات: ممّـا لاـ شـكّ فيه أنّ الصورة الفعليـة لنظم القرآن الكريم وتأليفه تمثّل القمّـة والكمال المطلوب فى هـذا المقام، وهى مطابقة لما أمر به رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، وأنّه دُوّن وجُمع بهذا الشكل الموجود عليه اليوم فى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وحياته. وهناك شواهد كثيرة على هذا المدّعى، وهو ممّا يقول به كبار العلماء من الشـيعة والسـنّة، من قبيل شـيخ الطائفة الطوسـى ورئيس المحـدّثين الشـيخ الأقـدم الصدوق القمّى والسـيّد الجليل علم الهدى وصاحب مجمع البيان، بل يصدق أنّ جميع القائلين بعدم

تحریف القرآن، الـذین یشـکّلون الأکثریهٔ المطلقهٔ من العلماء المحقّقین یذعنون لهذا المعنی، أی أنّ القرآن الکریم جُمع والّفت آیاته وسوره علی عهد رسول اللّه صلی الله علیه و آله، کما یظهر من بعض استدلالاتهم، وللوقوف علی تفاصیل الموضوع نحیل القارئ إلی کتاب «البیان فی تفسیر القرآن» وإلی کتابنا «مـدخل التفسیر فی علوم القرآن». ولإثبات المطلوب نکتفی هنا بذکر مسألهٔ ودلیلین: آیهٔ التطهیر، ص: ۶۳

## مسألهٔ هامّهٔ

## اشارهٔ

مسألـهٔ هامّـهٔ: هناک حقیقـهٔ مشـهودهٔ وأمر ملموس فی القرآن الکریم یکتشـفه المتدبّر فی آیاته، وهی أنّ لهذا الکتاب السـماوی بدایهً وجـذراً أصـیلًا ومنبعاً واحـداً، وأنّ الآیات الکریمهٔ تتری الواحدهٔ تلو الاخری باتجاه هدف معیّن، وتعود لتصبّ فی مصبّ واحد، بحیث یبتنی منهج الاسـتدلال وکیفیّته- إلی حدّ ما- فی کلّ آیهٔ علی الآیهٔ التی سـبقتها. یبدأ کتاب اللّه العظیم، القرآن الکریم بسورهٔ الحمد، التی تعرف ب «فاتحهٔ الکتاب»، وهذا العنوان یکشف عن أنّ للقرآن بدایهٔ ونهایهٔ، وإذا لم یکن تدوین القرآن وجمعه قد تمّ علی عهد النبیّ صـلی الله علیه و آله فلا محلّ ولا معنی لإطلاق هـذه الصـفهٔ علی سورهٔ الحمد- التی احتلّت فی عملیهٔ التدوین بدایهٔ هذا الکتاب السـماوی- وأن یذکرها النبیّ صلی الله علیه و آله بهذا العنوان «الفاتحهٔ». ولعلّ السرّ فی البدء بهذه السورهٔ وافتتاح القرآن بها أنّها تمثِّل فهرسـاً وقائمـهً مرکزهً ومختصـرهً لمطالب ورسالـهٔ القرآن الکریم. فالقرآن الکریم بصـدد رسالتین أساسـیّتین فی طریق هدایـهٔ البشـریهٔ وسعادتها: «الإیمـان بـاللّه والإقرار بالمعاد ویوم الجزاء» وتأتی قصـص الأنبیاء فی القرآن مثلًا لتحکی وتبیّن ردود فعل الامم السابقـهٔ، وکیف أنّ الرقی الإنسانی والسعادهٔ والنعم الربانیهٔ کانت قرینهٔ الاستجابهٔ لدعوات الأنبیاء والإیمان بهم، وأنّ التعاسهٔ والشقاء والانحطاط کـان حلیـف الکفر وإنکـار الرسالـات والنبوّات، وإنّ سورهٔ الحمـد تضمّ خلاصـهٔ مواضـیع أساسـیهٔ من هـذا القبیـل، وتشـکّل عصـارهٔ الأهـداف المقدّسهٔ للقرآن الکریم. آیهٔ التطهیر، ص: ۶۴ ولمّا کانت هذه السورهٔ فهرساً لمواضیع الکتاب، وتمثّل أبرع مستهلّ، حقّ أن تکون لها الصـدارهٔ وأن یبـدأ بها الکتاب، ولا یمکن فرض احتمال أن یکون ذلک من قبیل الصدفهٔ، ودون إرشاد ممّن ارسل بالکتاب الکریم صـلوات اللّه علیه وآله، إذ هو الوحید الذی یمکنه الوقوف علی جمیع أسرار هذا السفر المقدّس ورموزه الغیبیهٔ، ونترک متابعهٔ البحث فی هذا الموضوع لمقام آخر.

## الدلیل الأوّل

الدلیل الأوّل الدلیل الأوّل علی أنّ القرآن الکریم جُمع والّف علی عهد النبیّ صلی الله علیه و آله عموم الأحادیث النبویّهٔ الشریفهٔ، التی أرجعت المسلمین إلی القرآن، مثل حدیث الثقلین، والأحادیث التی أرشدت المسلمین وطالبتهم بعرض ما یُنسب لرسول اللّه صلی الله علیه و آله علی القرآن، ودلالتهـا علی وجود کتـاب محـدّد یحوی بین دفتیه ما أنزل من القرآن الکریم، هناک روایات یرتکز ظهورها فی خصوص تـألیف القرآن وجمعه ووجوده علی عهـد رسول اللّه صـلی الله علیه و آله. منها: ما نقله صاحب تفسیر «البیان» «۱»: روی الطبرانی وابن عساکر عن الشـعبی قال: جمع القرآن علی عهد رسول اللّه صـلی الله علیه و آله ستّهٔ من الأنصار: ابیّ بن کعب وزید بن ثابت آیـهٔ التطهیر، ص: ۶۵ ومعاذ بن جبل وأبو الـدرداء وسعد بن عبادهٔ وأبو زیـد «۱» . وروی قتـادهٔ قـال: سألت أنس بن مالک: مَنْ جمع القرآن علی عهـد النبیّ صـلی الله علیه و آله؟ قال: أربعهٔ کلّهم من الأنصار: ابیّ بن کعب ومعاذ بن جبل وزید بن ثابت وأبو زید «۲» . وأخرج النسائی بسند صـحیح عن عبـداللّه بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به کلّ لیلـهٔ، فبلغ النبیّ صـلی الله علیه و آله فقال: اقرأه فی شهر «۳» . ویذهب مؤلّف البیان، استناداً لهذه النصوص إلی أنّ القرآن جُمع فی عصر النبیّ صلی الله علیه و آله، وللمزید من

التفاصیل یُراجع هذا الکتاب «۴». ویظهر من مفاد بعض الروایات أنّ الرسول صلی الله علیه و آله کان یحدّد لکتّاب الوحی موضع ومکان کلّ آیة بعد نزولها، ویعیّن ترتیبها فی السور وبین الآیات، فقد ورد فی تفسیر الدرّ المنثور: أخرج أحمد، عن عثمان بن أبی العاص قال: کنت عند رسول اللَّه صلی الله علیه و آله جالساً إذ شَخَصَ بصرُه ثمّ صوّبه حتّی کاد أن یلزقه بالأرض. قال: ثمّ شخص ببصره فقال: أتانی جبریل علیه السلام فأمرنی أن أضع هذه الآیة بهذا الموضع من السورة إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ إلی قوله تَذَکَّرُونَ «۵» ، وروی جماعة، آیة التطهیر، ص: ۶۶ منهم: أحمد والترمذی والنسائی وابن حبّان والحاکم والبیهقی عن ابن عبّاس أنّ عثمان قال: إنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کان ممّا یأتی علیه الزمان تنزل علیه السور ذوات العدد، وکان إذا نزل علیه شیء یدعو بعض من یکتب عنده، فیقول: ضعوا هذا فی السورة التی یُذکر فیها کذا وکذا «۱» . یتّضح من هذین الحدیثین أنّ القرآن فی عهد النبیّ صلی الله علیه و آله کان علی شکل سور، والسورة عبارة عن مجموعة متتالیة من الآیات تبدأ ب «بسم اللَّه» وتمضی علی ترتیب معیّن، ویتّضح أیضاً أنّ الآیات المختلفة النازلة فی مختلف السور إنّما أخذت مواقعها الخاصّة، بناءً علی أوامر من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عیّن فیها هذه المواقع وحدّدها. وعلی هذا فإنّ تحدید السور ومواضع الآیات وترتیبها کان ممّا تمّ وانجز علی عهد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وهذان الأمران یشیران إلی أنّ تدوین الکتاب تمّ بإشراف النبیّ صلی الله علیه و آله وعلمه. أضف إلی ذلک أنّ التاریخ والروایات تؤکّد أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله کان یتلو فی صلواته سوراً معیّنةً، ممّا یعنی أنّ هذه السور کانت قد أخذت شکلها وإطارها الذی تحدّدت فیه بدایتها ونهایتها وتتالی الآیات فیها، ویؤیّد ذلک الأحادیث المرویّة عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی فضیلة قراءة السور «۲»، بل إنّ القرآن الکریم ذاته یذکر أحیاناً هذا العنوان «سورة» کقوله تعالی: سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا «۳» والمقصود بها سورة النور، وفی معرض التحدّی آیة التطهیر، ص: ۶۷ والإعجاز یقول عزّ من قائل: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ «۱» أو فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ «۲» فإن لم تکن «السورة» معیّنة وآیاتها وبدایتها ونهایتها محدّدة ومشخّصة، وکانت آیات مبعثرة علی جرید النخل والصحائف واللحف والعسب وصدور الرجال، کیف صحّ أن یقول القرآن: فأتوا بسورة من مثله، أو عشر سور مثله؟ وهناک شواهد کثیرة علی هذه الحقیقة، وإذا ما امعن النظر فی الروایات وأقوال کبار المحقّقین لتبدّدت جمیع الشکوک، وقُطع بأنّ هذا القرآن الموجود بین أیدینا الیوم هو ذاته المصحف الذی جمعه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وألّف بین آیاته وسوره، وکمثال علی هذه الشواهد ننقل کلام أحد أعاظم الشیعة، السید المرتضی علم الهدی أعلی اللَّه مقامه. ینقل الشیخ الطبرسی- وهو من أجلّة علماء الإمامیة فی القرن السادس الهجری- فی مقدّمة تفسیره «مجمع البیان» وهو من التفاسیر الشیعیّة القیّمة، عن السیّد الأجلّ علم الهدی مقالة فی جمع القرآن وتدوینه، وذکر أنّ المقالة جاءت فی جوابه المعروف عن «المسائل الطرابلسیات»، ونحن نذکر منه هنا مقدار الحاجة ممّا یتعلّق بموضوعنا فقال: «إنّ القرآن- الموجود بین ظهرانینا الیوم هو نفسه القرآن الذی- کان علی عهد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله مجموعاً مؤلّفاً علی ما هو علیه الآن، ودلیل ذلک أنّه کان یدرس ویُحفظ جمیعه فی ذلک الزمان، حتّی عیّن علی جماعة من الصحابة فی حفظهم له، وأنّه کان یعرض آیة التطهیر، ص: ۶۸ علی النبیّ صلی الله علیه و آله ویتلی علیه، وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبداللَّه بن مسعود وأُبیّ بن کعب وغیرهما ختموا القرآن علی النبیّ صلی الله علیه و آله عدّة ختمات. وکلّ ذلک یدلّ بأدنی تأمّل علی أنّه کان مجموعاً مرتّباً غیر مبتور ولا مبثوث، ومن خالف فی ذلک من الإمامیة والحشَویة لا یُعتد بخلافهم، فإنّ الخلاف فی ذلک مضاف إلی قوم من أصحاب الحدیث، نقلوا أخباراً ضعیفة ظنّوا صحّتها لا یرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع علی صحّته» «۱» . کان هذا قول عالم محقّق جلیل یعود لألف سنة خلت، وبملاحظة مبنی هذا العَلَم (السیّد المرتضی) فی عدم حجّیة أخبار الآحاد، وتصریحه بأنّ دلیله فی القول علی جمع القرآن وتألیفه فی حیاة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وجود روایات مقطوع بصحّتها، فمن المؤکّد أنّ هذه الروایات لا ینالها أیّ شکّ وتردید، من هنا فنحن نتعامل مع رأی هذا السیّد الجلیل کمستند معتبر، ونکتفی بهذا المقدار من البحث فی الدلیل الأوّل.

## الدلیل الثانی

الـدلیل الثـانی: الـدلیل الثانی علی جمع القرآن وتألیفه علی عهـد رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله، دلیل اعتباری یمکن تعقّله وقبوله: لا یمکن احتمال وتصوّر أنّ النبیّ صـلی الله علیه و آله الذی کان یبذل غایهٔ جهده، ویولّی کلّ اهتمامه للآیات القرآنیهٔ الشـریفهٔ سواء فی نزولها أو حفظها، آیهٔ التطهیر، ص: ۶۹ کان سلبیاً تجاه تنظیم هذه الآیات القرآنیهٔ وجمعها، وأنّه- والعیاذ باللَّه- کان مهملًا لذلک! وهو المعجزهٔ الخالدهٔ لبعثته والکتاب السماوی الخاتم وآخر رسالات اللَّه للبشریهٔ. إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله الذی قال: «إنّی تارک فیکم الثقلین» «۱» ثم اعتبر «الکتاب» الثقل الأکبر والأوّل، لا یمکن القول: بأنّه صـلی الله علیه و آله کان یقصـد من الثقل الأکبر تلک الآیات المبثوثهٔ فی الصـحائف أو المحمولهٔ فی الصدور، وأنّه أوکل جمعها وفوّض تنظیمها فی مصحف مرتّب یعنی تمام «الکتاب» إلی غیره، فیخضع الأـمر للأمزجـهٔ والرغبـات والاجتهادات الخاصّـهٔ، إن لم نقل للمیول والأهواء والأغراض والمصالـح الخاصّـهٔ! إنّ هـذا التوکیل والتفویض یسـتلزم المسـاس بـالقرآن والإخلال به، ممّا یعنی التفریط بأمر حیوی وأساسـی یوقع الأمّـهٔ فی فوضـی وضـیاع، ومنع ذلک والحؤول دون وقوعه هو دور ومهمّـهٔ المرسـل بالکتـاب، وحاشـا أن یخـلّ النبیّ صـلی الله علیه و آله بواجباته ووظائفه. وعلی هـذا فإنّ العقل یأبی بشدّهٔ فرضـیهٔ عدم جمع وتدوین القرآن علی عهد النبیّ، وأنّه صلی الله علیه و آله لم ینهض بهذا الدور بل أوکله إلی غیره. وإن قلنـا: بـأنّ الرسول صـلی الله علیه و آله أنـاط هـذه المهمّـهٔ بأمیر المؤمنین علیه السـلام وهو ربیب بیت الرسالـهٔ ورضـیع درّ الوحی، والعلیم بمواقف التنزیـل ومواضع الآیـات ومواقع السور، وأنّ علیّاً علیه السـلام نفسه کـان یعلن أنّه یحتفظ لـدیه آیـهٔ التطهیر، ص: ۷۰ بـالقرآن النـازل علی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله وأنّه مودع عنـده. فإنّ مقصود علیّ علیه السـلام هو القرآن المحتوی علی التفسیر والتأویـل، المشـتمل علی تحدیـد أسـباب النزول وکشف الغوامض والأسـرار، وبیـان حقـائق مـا أرادتهـا مجملاـت الآیات وتخصـیص عموماتها، ممّا خصّ النبیّ صـلی الله علیه و آله به ابن عمّه وخلیفته من بعده من علوم. وبعبارهٔ أخری: أنّ قرآن علیّ علیه السـلام ما هو إلّا شـرح للقرآن المؤلف المجموع علی عهـد النبیّ صـلی الله علیه و آله، ومثل هـذا الکتاب لا یوجـد إلّاعنـد علیّ وأئمّهٔ الهدی علیهم السـلام من بعـده، وهو من شـأن «الـذین عنـدهم ما نزلت به رسل اللَّه وهبطت به ملائکته وإلی أخیه أوجـدّهم بُعث الروح الأمین» «۱» الـذین لاـ یمکن لغیرهم حمله، یتوارثونه کـابراً عن کـابر مع بقیـهٔ ودائع النبوّهٔ ومواریث الإمامـهٔ، وهو الیوم محفوظ عنـد إمـام العصـر المهـدی من آل محمّـد الحجّـهٔ ابن الحسن عجّـل اللَّه تبـارک وتعالی فرجه، الـذی سـیملأ الأرض بعـدل الکتاب وهو یطبقه آیـهٔ بآیهٔ ویحکمه حرفاً بحرف.

### کلام علی علیه السلام حول القرآن:

کلام علی علیه السلام حول القرآن: ولبیان صحّهٔ ما ذهبنا إلیه آنفاً، نحیل القارئ الکریم إلی کتاب «الاحتجاج» للطبرسی، وفیه حدیث مفصّـل لحوار بین علیّ علیه السـلام وطلحـهٔ حول هـذه الودیعـهٔ السـماویهٔ، ننقل مختصـراً منه ممّا نحن بصـدده. یقول علیه السـلام: «یا طلحهٔ، إنّ کلّ آیهٔ أنزلها اللَّه جلّ وعلا علی محمّد صـلی الله علیه و آله عندی آیهٔ التطهیر، ص: ۷۱ بإملاء رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وخطّ یـدی، وتأویل کلّ آیـهٔ أنزلها اللَّه علی محمّـد صـلی الله علیه و آله وکلّ حرام وحلال، أو حدّ أو حکم أو شـیء تحتاج إلیه الامّـهٔ إلی یوم القیامـهٔ، مکتوب بإملاء رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله وخطّ یدی حتّی أرش الخدش. قال طلحهٔ: کلّ شـیء من صـغیر وکبیر أو خاصّ أو عام کان أو یکون إلی یوم القیامهٔ فهو عندک مکتوب؟ قال: نعم، وسوی ذلک، إنّ رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله أسرّ إلیّ فی مرضه مفتـاح ألف بـاب من العلم یفتـح من کـلّ باب ألف باب، ولو أنّ الامّـهٔ منـذ قبض رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله اتبعونی وأطـاعونی لأـکلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم... ثمّ قـال طلحـهٔ: فـأخبرنی عمّـا فی یـدک من القرآن وتـأویله وعلم الحلال والحرام إلی من تدفعه ومن صاحبه من بعدک؟ قال: إنّ الذی أمرنی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أن أدفعه إلیه وصیّی وأولی الناس

بعدی بالناس ابنی الحسن، ثمّ یدفعه ابنی الحسن إلی ابنی الحسین، ثمّ یصیر إلی واحد بعد واحد من ولد الحسین حتّی یرد آخرهم حوضه» «۱» . إذن فالکتاب الذی لدی علیّ علیه السلام یحمل مواصفات، هی: ۱- مدوّن فیه کلّ ما نزل علی النبیّ صلی الله علیه و آله بخط علیّ علیه السلام. ۲- فیه تأویل کلّ آیة. ۳- فیه جمیع الأحکام من الحلال والحرام: الواجبات والمستحبّات، والحدود، وکلّ ما یحتاجه الناس إلی یوم القیامة، وهو من الدقّة والتفصیل بحیث فیه حتّی أرش الخدش. ۴- لا ینبغی لهذا الکتاب أن یقع فی أیدی عامّة الناس، ولا أن آیة التطهیر، ص: ۷۲ یطّلعوا علیه، بل إنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أوصی علیّاً علیه السلام وأمره بالاحتفاظ به عنده وتسلیمه إلی ابنه الحسن علیه السلام من بعده، ومن ثمّ إلی الحسین علیه السلام وهکذا حتّی آخر الأئمّة والأوصیاء، أی الإمام المهدی المنتظر صلوات اللَّه وسلامه علیهم أجمعین. بعد بیان هذه الأوصاف، هل یمکن لأحد الزعم بأنّ هذا الکتاب هو ذاته القرآن الواقعی المنزّل علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟ من الواضح أنّ جواب هذا السؤال منفیّ- بناءً علی قول أمیر المؤمنین علیه السلام- لأنّ فی هذه المجموعة تفصیل کلّ حکم، أعمّ من الخاصّ والعام، الکلّی والجزئی، فأنت لا تشاهد فی هذا الکتاب الآیات المنزلة علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فحسب، بل تجد تأویلها أیضاً، إنّه ودیعة یجب أن تبقی بأیدی أوصیاء النبیّ؛ لیکونوا محیطین مطّلعین علی جمیع أسرار الدین ومآل الأمور ونتائجها. فالقرآن هو مجموع الآیات التی نزلت علی قلب النبیّ صلی الله علیه و آله، بینما کتاب علیّ علیه السلام یحوی إضافة إلی ذلک تأویل الآیات، وهو شیء آخر غیر الآیات نفسها بطبیعة الحال، والقرآن ینبغی أن یکون فی متناول عامّة الناس، حیث کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یتلوه ویعلّمه الناس، کما أخبر القرآن نفسه بذلک فی قوله تعالی: یُعَلِّمُهُمُ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ... «۱» ، بینما یجب أن تبقی آیات الکتاب المستودع عند علیّ علیه السلام وأحکامه محفوظة لدیه ولدی الأوصیاء من ولده علیهم السلام، بعیدة عن تناول الناس. وعلی هذا لا یمکن القول: إنّهما کتاب واحد، ولا مناص من القول: إنّ آیة التطهیر، ص: ۷۳ مقصود أمیر المؤمنین علیه السلام من «القرآن» شیء آخر غیر کتاب اللَّه المعهود والمجموع بین الدفتین.

### خلاصة هذه الاستدلالات

خلاصة هذه الاستدلالات: قلنا: إنّ کتّاب الوحی قاموا بجمع وبتدوین الآیات وتألیف المصحف علی عهد رسول اللَّه وبأمره وإشرافه، وتعرّضنا فی ضمن (مسألة ودلیلین) إلی إثبات صحّة رأی من ذهب من العلماء والمحقّقین إلی أنّ القرآن الّف وجمع کاملًا مرتّباً فی السور والآیات فی حیاة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وهو القرآن المتداول بین المسلمین الیوم. وعلی هذا، فإنّ ما نراه الیوم من مواقع السور وترتیب الآیات فی المصحف الشریف المتداول بأیدی المسلمین هو نفسه الذی کان فی زمن النبیّ صلی الله علیه و آله کلّ آیة فی مکانها وکلّ سورة فی موضعها، الذی عیّنه النبیّ صلی الله علیه و آله ودوّنه کتّاب الوحی بأمره وإشرافه. إذن فإنّ آیة التطهیر یجب أن تکون فی ذیل الآیة الثالثة والثلاثین من سورة الأحزاب، ومحلّها هذا کان بأمر من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله مع ما أثبتناه من کونها آیة مستقلّة منفصلة فی دلالتها وشأن نزولها والمخاطبین والمعنیین فیها، لکنّها یجب أن تکون فی هذا الموضع ویجب أن تتخلّل آیات النساء!

### شبهة وتساؤل

شبهة وتساؤل: إنّ الأدلّة والبراهین التی ساقها البحث حتّی الآن إنّما أثبتت أنّ القرآن جُمع ودوّن علی عهد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وبإشرافه ورقابته، ولکن یبقی هنا سؤال عن القرآن الموجود بین ظهرانینا الیوم، هل هو ذاک آیة التطهیر، ص: ۷۴ الذی جمعه النبیّ صلی الله علیه و آله؟ ألا یحتمل أنّ الأیدی عبثت وتصرّفت فی ترتیب الآیات ومواقع السور خلال هذه الفاصلة الزمنیة الممتدّة، خصوصاً وأنّ المشهور الیوم هو أنّ عثمان هو الذی جمع کتاب اللَّه، حتی أصبح یُشار ویُقال: «المصحف العثمانی»؟ فإذا فرضنا أنّ عثمان بن عفّان قام أیضاً بجمع القرآن، فمن أین نعلم أنّ القرآن الموجود بین أیدینا الیوم هو الذی نهض رسول اللَّه صلی الله علیه و

آله بجمعه لا الذی جمعه عثمان؟ وعلیه فإنّ الاستدلال علی عدم التصرّف فی ترتیب الآیات من منطلق تصدّی النبیّ صلی الله علیه و آله لهذه المهمّة وانجازها فی حیاته یبقی ناقصاً!

## ردّ الشبهة

ردّ الشبهة: یتسالم المحقّقون ویتّفقون علی أنّ دور عثمان کان منحصراً فی معالجة قراءات القرآن المختَلَف فیها، لعلل وأهداف لا داعی لذکرها، فهو جمع القرآن لا بمعنی جمع الآیات والسور فی مصحف واحد، بل جمع الناس علی قراءة واحدة، وقد اختار عثمان القراءة المشهورة المتواترة بین المسلمین، القراءة التی أخذوها عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله فکتب القرآن علی تلک الصورة. إذن، ما فعله عثمان هو أنّه أشاع ونشر نفس الکتاب الذی ألّف رسول اللّه بین آیاته، وفق القراءة المعروفة المتداولة، وثبّتها من بین بقیّة القراءات الاخری المختلفة- ویرجع سبب اختلاف القراءات إلی حدّ کبیر إلی تفاوت اللهجات وبیئات القبائل- وقد کان أمیر المؤمنین علیه السلام یحوط العملیة بالرقابة اللازمة کما جاء فی روایة سُوید بن غفلة: أنّ علیّاً علیه السلام قال: «واللّه ما فعل- عثمان- الذی فعل فی المصاحف إلّاعن آیة التطهیر، ص: ۷۵ ملأٍ منّا» «۱» ، إذن فعثمان لم یجمع المصحف علی هواه ووفق رغبته، وقد أقرّه الجمیع علی ذلک، ولم یعترض علیه أو ینتقد فعلته أحد من المسلمین «۲». ولعمری ما کان عثمان ولا غیره قادراً علی مس القرآن، وتبدیل مواضع السور والآیات فیه، إذ کان المسلمون یحوطون القرآن الذی جمعه ونظّمه رسول اللّه صلی الله علیه و آله باهتمام وعنایة ما کانت تسمح بإسقاط «واو» أو تغییر مکانها فی الآیة! ففی «الدرّ المنثور»: أخرج ابن الضریس، عن علباء بن أحمر أنّ عثمان بن عفّان لمّا أراد أن یکتب المصاحف أرادوا أن یلقوا الواو التی فی براءة والذین یکنزون الذهب والفضة قال لهم ابی (بن کعب): لتلحقنّها أو لأضعنّ سیفی علی عاتقی، فألحقوها «۳» . نعم، إنّ وجود حماة أشدّاء یقفون کاللیوث مترصدة مراقبة، علی رأسهم أمیر المؤمنین علیه السلام، یحوطون القرآن بالرعایة والمتابعة لم یکن لیسمح بالعبث والتحریف، أو بتغییر الترتیب والنظم. ویبقی الحکم التاریخی، کما ذهب بعض المحقّقین، علی فعلة عثمان هذه یتأرجح بین إثبات حسنة له واخری سیّئة: فهو من جهة أنهی النزاع والاختلاف فی القراءات، وجمع المسلمین علی قراءة واحدة متواترة. ولکنّه من جهة اخری أقدم علی إحراق بقیّة المصاحف، وأمر آیة التطهیر، ص: ۷۶ أهالی الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترف علی عثمان فی ذلک جمع من المسلمین حتّی سمّوه «حرّاق المصاحف»! «۱» . وعلی أیّ حال فهو لم یُدخل میوله ویُعمل أهواءه فی عملیة الجمع هذه، وعلی تقدیر إقدامه علی شیء من هذا فإنّ عمله کان سیُرفض تماماً، وکان سیُواجه خصوصاً من قبل أهل الخبرة والمعرفة بالقرآن الکریم، وکانوا کثیرین، وعلی الأخصّ مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام، الذی کان محیطاً بجمیع خصائص وجزئیات القرآن، منها ترتیب آیاته ومواقعها. إذن فإنّ عمل عثمان لم یتعدّ إحیاء ذلک المصحف الخالد نفسه الذی خلّفه النبیّ صلی الله علیه و آله. من هنا یتقرّر: أنّ الکتاب الموجود بین ظهرانینا هو نفسه الذی وضعه النبیّ صلی الله علیه و آله وخلّفه بید المسلمین قبل ما یربو علی ألف وأربعمائة عام ونیف، وهکذا یتقرّر أنّ آیة التطهیر جاءت فی سیاق آیات سورة الأحزاب المشار إلیها، وأنّ محلّها هو نفسه الذی نعهده فی المصاحف الشریفة.

## مؤیّد آخر لموضع الآیة

مؤیّد آخر لموضع الآیة یدعم کون آیة التطهیر جاءت تلو آیات النساء، وأنّ موقعها هذا کان بأمر خاصّ من النبیّ صلی الله علیه و آله. فبعدما فرغنا من إثباته من استقلالیة الآیة وانفصالها من حیث شأن النزول و...، یتّضح أنّ تدوین هذه الآیة فی هذا الموقع ینطوی علی سرّ لا- یحیط به إلّامن خوطب بالقرآن آیة التطهیر، ص: ۷۷ ومن انزل علیه واوحی إلیه، أی الرسول صلی الله علیه و آله نفسه، إذ لو کان أمر الجمع والتدوین قد أوکل إلی الناس لما أخذت الآیة هذا المکان (فی ذیل الآیة ۳۳ من سورة الأحزاب) ولما توانی القائمون علی التدوین- وهم یرون أنّ الخطاب فی أوّل الآیة یتوجّه لنساء النبیّ صلی الله علیه و آله- من فصلها فی آیة مستقلّة ووضعها فی

موضع یتناسب وسبب النزول والمخاطب فیها، لا ـ أن تدمجان بحیث تحسبان فی المجموع من أوّل وَقَرْنَ فِی بُیُوتِکَنَّ – إلی آخر– تَطْهِیراً آیة واحدة! وهذا ممّا یدلّ علی حکمة وسرّ خاصّ أراده النبیّ صلی الله علیه و آله من هذا الأمر، سنعرض له قریباً. نستعید هنا خلاصة ما ذکرناه فی المسألة الثانیة: ۱– آیة إنّما یرید اللَّه نزلت فی دار امّ سلمة وبصورة مستقلّة. ۲– کان فی دار امّ سلمة خمسة أشخاص دخلوا تحت الکساء عند نزول الآیة، ولم تکن امّ سلمة من هؤلاء الخمسة، وأنّ هذا المعنی متسالم ومتّفق علیه لدی العامّة والخاصّة، حتّی أنّ زوجتی النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله امّ سلمة الفاضلة وعائشة الفتاة الشابّة اعترفتا بخروجهنّ عن هذا المجمع المقدّس وملتقی الفیض الرحمانی. ۳– المتطفّلون، «القیصریون أکثر من قیصر»، الحاسدون، الذین بذلوا کلّ ما فی وسعهم لطمس الحقائق وتحریفها بجعل الآیة شاملة أو مقتصرة علی نساء النبیّ صلی الله علیه و آله ذهبت جهودهم أدراج الریاح. ۴– إنّ آیة التطهیر جاءت لتعطی «أهل البیت علیهم السلام» حلّة من الفخر والشرف والفضل الذی یمیّزهم عن غیرهم ویمهّدهم للدور الذی سیُناط بهم فی المستقبل، دور زعامة الأمّة وهدایتها، والهیئة الخاصّة التی اقترنت بنزول الآیة (التدثّر بالکساء الیمانی) کان بمثابة الإشعار آیة التطهیر، ص: ۷۸ والعلامة الممیّزة التی تقرن النزول بالشأن، وتزیل اللبس عن أیّة مداخلات تحاول طمس حقیقة مدلول ورسالة الآیة، إنّها تحدید عملی وتطبیق خارجی لمفهوم الآیة والمراد بها، وإنّ حرکة دخول الخمسة تحت الکساء ونزول الآیة ودعاء النبیّ صلی الله علیه و آله وهم علی هذه الهیئة الخاصّة، هی حرکة شبیهة بما فعله رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی یوم غدیر خم عندما رفع ید أمیر المؤمنین– حتّی بان بیاض إبطیهما– وقال: «من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه» «۱». ۵– القرآن کتاب منظم یبدأ بسورة الحمد، وقد انجز تدوینه وتمّ تألیف آیاته وسوره علی عهد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وأنّه لم یتعرّض لأیّ تلاعب، ومواضع الآیات فی المصحف الحالی هی ذات المواضع ونفس المواقع التی رتّبها النبیّ صلی الله علیه و آله فی عهده دون تغییر أو تبدیل. ۶– علی ذلک، إنّ موضع آیة التطهیر هو سورة الأحزاب فی سیاق الآیات التی خاطبت نساء النبیّ صلی الله علیه و آله، وعلی التحدید فی ذیل الآیة الثالثة والثلاثین التی تبدأ ب وَقَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ والتی کانت بصدد رسم منهج وتحدید دور وتکلیف زوجات النبیّ صلی الله علیه و آله. وأنّ هذا موافق ومنطبق مع التألیف والجمع الأوّل للقرآن.

## اسرة النبیّ صلی الله علیه و آله وعائلته فریقان:

اسرة النبیّ صلی الله علیه و آله وعائلته فریقان: بملاحظة النظم فی هذه الآیات یتجلّی لنا البرنامج الحکیم، والخطة آیة التطهیر، ص: ۷۹ الإلهیة التی وضعها القرآن الکریم لُاسرة النبیّ صلی الله علیه و آله وعائلته، ذلک البرنامج الذی سیعمّ الإسلام البلاد عند تطبیقه، وهذه الخطّة التی سیحتلّ الإسلام علی إثر العمل بها مکانته بین الامم کمشعل هدایة للبشریة جمعاء. هذه الخطّة التی سبق أن أشرنا إلیها، نقف بعد المزید من التدقیق والتحقیق علی تفاصیلها. تُصوّر لنا هذه الآیات شکل أسرة النبیّ صلی الله علیه و آله، وهی فی نطاقها العائلی الکبیر تُدخل جمیع دُور رسول اللَّه ومن فیها من نسائه فی عضویتها، وهکذا ذرّیته وأقرباؤه من ابنته وسبطیه إضافة إلی صهره العظیم علیهم السلام. ولکن هذه الاسرة الکبیرة تنقسم فی الآیات إلی قسمین وتنشقّ إلی فریقین: فریق باسم نساء النبیّ صلی الله علیه و آله، ولکن لم تذکر بیوتهنّ باسم بیت النبیّ صلی الله علیه و آله، بل بنفس البیت الذی یسکنّ فیه فاطلق بُیُوتِکُنَّ. والفریق الثانی اطلق علیه وسمّی ب أَهْلَ الْبَیْتِ وقلنا: إنّ أعضاء هذا الفریق خمسة مع صاحب البیت، رئیسهم النبیّ صلی الله علیه و آله. وبینما نری أنّ الآیات قد وضعت خطّة وبرنامج عمل من أجل السعادة والنجاة للفریق الأوّل، نجدها میّزت الفریق الثانی وخصّته بخصوصیة انفرد بها.

## البرنامج القرآنی للفریق الأوّل

البرنامج القرآنی للفریق الأوّل ۱– عدم التعلّق بالدنیا وزینتها، وعند التخلّف علیهنّ الانفصال عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بتطلیقهنّ. ۲– الانقطاع إلی اللَّه والإخلاص لذاته المقدّسة، والطاعة آیة التطهیر، ص: ۸۰ والخضوع المطلق لرسول اللَّه صلی الله علیه و

آله، والأجر الجزيل المضاعف الـذى ينتظرهنّ عنـد تنفيـذ هـذا البند. ۳- اجتناب الفواحش وقبائـح الأعمال والمنكرات الفاضـحة. ۴- عدم الاختلاط بالرجال واجتناب الغرباء والحيطة، حتّى فى أسلوب الكلام ولحن الحديث بما يحصـنهنّ عن أغراض الذين فى قلوبهم مرض. ۵- القول المتّزن، واجتناب القول المشين والحديث الجارح. ۶- عدم التبرّج وإظهار الزينة والجلوس فى أماكن مشرّفة، أو تطلّ على الطريـق بحيث يكنّ على مرأى من الأجـانب. ۷- الاسـتقرار فى البيوت، وعـدم الخروج والتجوال فى الطرق والتفسّـح المريب، ثمّ اجتناب الدخول فى القضايا السياسـية والشؤون العامّة للمسـلمين. كانت هذه نماذج من الاسـتنتاجات الحاصلة على ضوء الآيات المبيّنة لبرنامـج نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله وما عليهنّ التقيّـد به وفق تلك الآيات، ونرى مـدى الحرص والتأكيـد القرآنى على تنفيـذ هذا البرنامـج وإعمال هـذه الخطّة يظهر متجلّياً واضـحاً بتأمّل الآية الأخيرة: وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيرَاً «۱» وهى تـذكرهنّ بالتعـاليم والإرشـادات التى أمرهنّ الرسول صـلى الله عليه و آله بهـا ومـا تلاه عليهنّ من آيات اللَّه. آية التطهير، ص: ۸۱

## امتياز الفريق الثانى

امتياز الفريق الثانى الفريق الثانى المنشـعب من الأسـرة الكبيرة هو «أهل البيت عليهم السلام» وقد مرّ أن أيّاً من الآيات لم يشر إلى نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله- أى الفريق الأوّل- على أنّهنّ من أهل البيت إذ نسب بيوتهنّ إلى أنفسهنّ، وركز القرآن الكريم هذا المعنى فى آيـتين من قوله تعـالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ «۱» وَاذْكُرْنَ مَـا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ «۲» . ولعلّ الأمر كان على هـذه الكيفيـة حتّى يفقدن فى المسـتقبل أىّ انتساب أو إضافة لرسول اللَّه صـلى الله عليه و آله أو ارتباط به، سوى كونهنّ أزواجه. وبملاحظـة البرنامـج الـذى الزمن بتنفيـذه والعمـل به، عليهنّ حفـظ بيوتهنّ وفق البنود والشـروط التى نصّ عليهـا البرنامـج (اللائحـة التنظيميـة لهـذه البيوت) بالبقاء فيها، وتجنّب الخوض فى القضايـا الإسـلامية العامّـة، إذ لا صـفة ولا دور أو سـمة رسـمية تسـمح لهنّ بالـدخول فى هكـذا قضايا، وفى حال التخلّف عن هـذا البرنامـج وعـدم مراعاة شـروطه، فإنّ الانتساب والإضافة لرسول اللَّه صـلى الله عليه و آله ستسـقط عنهنّ أيضاً. من هنا كان جواب زيد بن صوحان لعائشة فى الرسالة التى ذكرناها «۳» واعتباره لها امّاً للمؤمنين ما دامت فى بيتها ملتزمةً بالعمل ب وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وكان كتاب امّ سلمة لعائشة المتضمّن للمعنى نفسه من توقّف تحلّيها بلقب امّ المؤمنين على التزامها البيت، وعدم الخوض فى القضايا السياسـية العامّـة وإثارة الفتن والحروب، وخلع آيـة التطهير، ص: ۸۲ اللقب عنها عنـد تمرّدها ونكوصـها عن (اللائحة التنظيمية الداخليـة لـبيوت نسـاء النبىّ صـلى الله عليه و آله) «۱» . أمّـا الفريق الثـانى «أهـل البيت» عليهم السـلام فهو موكّـل بمهمّـة ودور ناهض بمسؤوليـة ووظيفـة حفـظ الإسـلام وقيادة المسـلمين وزعامتهم، من هنا خلّيت النسوة (الفريق الأوّل) ومشـيئتهنّ فى عـدم اجتراح الآثام وارتكـاب الفواحش، والالـتزام بالبرنامـج القرآنى المرسوم لهنّ، وبالتـالى طهـارتهنّ ونزاهتهنّ، أمّـا أهل البيت صـلوات اللَّه عليهم فقد نزّههم اللَّه وطهّرهم تطهيراً، وأراد بـأمره أن لا يعترى نفوسـهم الساميـة كـدر الـذنب بل حتّى التفكير بالـذنب، أو ينال أرواحهم العالية لوث المعاصـى، فيبقون معادن خالصة مصـفّاة يحقّ لها ويليق بها أن تتولّى دور الهداية وتخلف رسولَ اللَّه صلى الله عليه و آله فيه «۲». أمّا الآيات التى تحدّثت عن نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله فلا يسـتشم منها ريح التميّز والاصـطفاء، ولكنّك تجد تلك النفحة الإلهية فى قمّـة تجلّيها فى إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّهُ.. وتجد كيف تسـطع شـمس الكمال وتتلألأ درر الفضـيلة فى صـفوة محدّدة وثلّة مذكورة على وجه الحصر والتخصيص ب «إنّما»، وبتقديم «عنكم» على أهل البيت عليهم السلام، وبفتح «أهل» فاللَّه أراد لهؤلاء، لا للنساء ولا لغيرهنّ، بل لهؤلاء الخمسة البعـد عن الأهواء والأمراض الروحيـة، أراد لهـذه الطبقـة المتميّزة وهـذا النبع والجـذر الطهارة والنزاهـة والعصـمة. آية التطهير، ص: ۸۳ ويلاحـظ من وقوع هـذه الآيـة بين تلك الآيات أنّ السـلبية التى تعاملت بها العنايـة الربّانيـة مع زوجات النبى اقتُطعت واستُثنى منها الفريق الثانى «أهل البيت» عليهم السلام، فإمكان صدور الذنب وارتكاب الفواحش ومعصية الرسول، والخروج من البيت والتـدخّل المنهىّ عنه والخاطئ فى قضايا المسـلمين العامّة ممّا كانت تطفح به الآيات التى خاطبت زوجات النبى صـلى الله عليه و آله،

قد اختفت واستُعيض عنها بإفاضة روحية ملكوتية تنزّه وتبرئ الفريق الثانى «أهل البيت عليهم السلام» من كلّ ذنب ونقص. فنساء النبىّ صلى الله عليه و آله لهنّ الخيار فى اتّخاذ طريق السعادة أو الشقاء، أمّا أنشودة الرحمة الإلهية والعناية الربانية الخاصة وفيوضاتها القدسية فقد رتّلت ألحانها الغيبية فى مسامع أهل البيت خاصة، وناجتهم أن لا يظنّن أحد أنّكم كنساء النبىّ صلى الله عليه و آله، ارخى لهنّ عنان الشطح والقى حبل الأهواء على غاربه، اللّهم إلّالمن أرادت الفوز والنجاة فاعتصمت بسبيله. إنّه ظنّ باطل وخيال زاهق. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ... وعلى هذا، فإنّ مفاد آية التطهير يختلف كلّياً عن مفاد بقيّة الآيات، فلا يمكن أن يتوجّه الخطاب فيها إلى زوجات النبىّ الأعظم صلوات اللَّه عليه وعلى آله أجمعين.

### العلّة فى ترتيب وتدوين الآية فى هذا الموضع

العلّة فى ترتيب وتدوين الآية فى هذا الموضع مع أنّ آيات البرنامج القرآنى لزوجات النبىّ صلى الله عليه و آله كانت تشير إلى عدم تمتّعهنّ بالخصوص بأىّ مقتض وأولوية، ولم تكن تحكى أىّ نوع من الاستحقاق والكفاءة لهنّ، ولم تمنحهنّ أىّ فضيلة أو مزيّة، مع أنّ آية التطهير، ص: ٨۴ كلّ هذا نزل بخصوصهنّ، كان من الممكن أن يتوهّم البعض أنّ هذا يشمل جميع أقرباء النبىّ صلى الله عليه و آله، وأنّهم جميعاً على هذه الشاكلة والنحو من الكفاءة والاستعداد والمنزلة والمقام. ولم يكن من سبيل لرفع هذا التوهّم ودفع هذا الاحتمال إلّابأن تُقحم جملة معترضة فى وسط هذه الآيات على نحو الاستطراد، لتبدو كأنّها عبارة مقتطعة وضعت بين قوسين لئلّا يبقى أىّ هامش للاحتمال، وهذا من شواهد البلاغة القرآنية التى تظهر فى قدرته على نقل خطابه وتغيير مخاطبه بشكل مفاجئ وسريع، ففى حين توجّه بالخطاب إلى فئة معيّنة (نساء النبىّ صلى الله عليه و آله) بالوعد والوعيد والتحذير من السقوط فى المعصية والهوى، ينتقل بتمام التأكيد وغاية الإتقان ليخاطب فئة اخرى «أهل البيت» عليهم السلام، وكأنّه يقول: كلّا، ليس الحال كذلك معكم أنتم، ليست كلّ الأسرة من أصل واحد، وليست نفوسهم من نسيج واحد، لا ليس كذلك، إنّما «أهل البيت» عليهم السلام مستثنون، فقد طهّرهم اللَّه من الدنس وعصمهم من الزلل.

### حقائق كشفها البحث

حقائق كشفها البحث ١- انتظام الآيات، أى وجود ترابط بين آية التطهير وآيات نساء النبىّ صلى الله عليه و آله. ٢- السرّ فى وقوع آية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ... فى آخر الآيات وأنّ آية وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ هى بمثابة ملحق بالبنود التى سجلتها الآيات السابقة لها. ٣- دلالة آية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. على انصباب العناية الإلهية الخاصة، وتعلّق الرعاية الربانية على تنزيه وطهارة وعلوّ شأن ثلّة آية التطهير، ص: ٨۵ خاصّة من أقرباء النبىّ صلى الله عليه و آله اطلق عليهم «أهل البيت» عليهم السلام. ۴- وقوع الآية فى نهاية تلك الآيات كان لدفع وهم قد يطرحه بعض من فى قلوبهم مرض.

### إشكال على الاستطراد

إشكال على الاستطراد: إذا افترضنا أنّ آية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. مثلها مثل بقيّة الآيات تخاطب جميع عائلة النبىّ صلى الله عليه و آله وأسرته من نساء وذريّة وصهر، فلن يعكر سياق الكلام ووحدة الموضوع شىء وستجده منساباً على رؤية واحدة، ولكن إذا قلنا: بأنّ المعنيين فى آية التطهير هم فئة خاصّة من أسرة النبىّ صلى الله عليه و آله استُثنيت من عموم عائلته، فهذا ممّا يلزمه الاستطراد (ويعنى تخلّل عبارة خارجة عن كلام يحكى موضوعاً واحداً) «١» وحمل آية التطهير، ص: ٨۶ عبارة ما على الاستطراد هو خلاف الظاهر، إذ الظاهر أن يبدأ المتكلّم بالحديث حتّى ينهيه بانتهاء موضوعه دون أن يتخلّله كلام خارج الموضوع الذى شرع فيه، وإلّا لخدش ذلك بفصاحته وبلاغته. من هنا (يزعم أرباب الإشكال) فإنّ عدم اعتبار آية التطهير مخاطبة لعامّة أسرة النبىّ صلى الله عليه و آله يجعلها

عبارة وجملة غريبة تخلّ بوحدة الموضوع وتناسق النصّ وانسجامه، ولما كان القرآن الكريم فى غاية البلاغة وقمّة الفصاحة فإنّه لا يمكن الجزم بأنّ آية التطهير لا تشمل جميع أفراد اسرة النبىّ صلى الله عليه و آله لما يشكله فرض الاستطراد من مسّ وخدش بالكمال الأدبى والتمام البلاغى للنص، وهو مبنى إشكال غالبية محقّقى العامّة وعلمائهم فى دلالة الآية وزعمهم شمولها النساء.

## ردّ الإشكال

ردّ الإشكال: فضلًا عمّا ذكرناه سابقاً وأثبته التحقيق من أنّ الخطاب فى هذه الآية خاصّ، ولا يصحّ ولا يعقل إلّاأن يكون موجّهاً لنفر معدود معيّن، وما اعتبرناه من كونها استطراداً جاء فى محلّه ومناسبته لرفع الاحتمال ودفع الوهم، نقول: إنّ دخول الجملة الاعتراضية فى الكلام لا يخدش ببلاغته، وإذا ما تسالمنا وأذعنا أنّ القرآن الكريم غاية فى البلاغة والفصاحة، فها هى بعض الشواهد التى تُقرّ هذا الاستعمال الأدبى وتحسّنه ولا تراه مخلّاً وخادشاً بتمام البلاغة والفصاحة: آية التطهير، ص: ۸۷ ۱- فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ* يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنْ الْخَاطِئِينَ «۱» فى هذا النصّ القرآنى نجد أنّ الحديث يبدأ حول مكر النساء وينتهى بذكر ذنب زليخا وخطيئتها، وقد تخلّلته جملة اعتراضية هى يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا. ۲- قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ «۲» ونلاحظ هنا أنّ بداية الكلام ونهايته لبلقيس، وبين تسلسل حديثها جاء كلام اللّه على نحو الجملة المعترضة كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. ۳- ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* أ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أ تُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ «۳» بدأ الكلام فى هذه الآيات الشريفة ببيان نفسيّة اليهود وروحيتهم وعنادهم وقسوتهم، آية التطهير، ص: ۸۸ وختم ببيان زيفهم وحالة الملامة والتوبيخ المتبادلة بين أفرادهم، ولكن بين مثل هذه البداية والخاتمة نرى عبارة (كأنّها بين قوسين) جاءت كتذكرة للمسلمين: أن لا تأملوا أبداً فى إيمان هؤلاء واقطعوا الرجاء فى ذلك. إذن فالقرآن الذى ينصب جزء من إعجازه على البُعد البلاغى فيه عمد إلى الاستطراد فى كثير من المواضع بأن بدأ حديثاً وختمه فى موضوع واحد فى حين تخلّلته عبارات وجمل خارج الموضع وغريبة عنه، ويكفينا ذكر هذه الشواهد الثلاثة، ولننتقل للبحث فى علل الاستطراد وأسبابه.

## حول الاستطراد

حول الاستطراد: يُعدّ الاستطراد من الأساليب البلاغية المتداولة فى الكتابة، المعمول بها فى الخطابة والتحدّث، وهو إدراج عبارة أو إقحام جملة فى موضوع غريب عنها أو لا يندمج فيها كلّ الاندماج، ويهدف إلى التأكيد على تلك الجملة وإلفات النظر إليها، بحيث ما كان لها هذا البريق والوقع على القارئ أو المستمع لو لم تكن نافرة عن سياق غريب عنها، وهكذا قد يُراد بالاستطراد تأكيد المعنى فيؤتى بالجملة المقتطعة فى وسط الحديث الغريب عنها ترسيخاً له وإمعاناً فى بيانه. وممّا لا شكّ فيه أنّ آية التطهير الشريفة إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ.. هى من هذا القبيل، الذى يلجأ إليه المتحدِّث بهدف إلفات النظر إليه وتركيزه فى الأذهان وبقائه فى الذاكرة لأهمّيته وخصوصيّته. ففى سياق يلفّه الوعد والوعيد لزوجات النبىّ صلى الله عليه و آله، ويحفّه إثارة إمكان انحرافهنّ وسقوطهنّ فى المعصية والتمرّد على الرسول صلى الله عليه و آله، كانت ذهنية المستمع ستخلط- على الأكثر- وتحتمل آية التطهير، ص: ۸۹ الفرض نفسه فى «أهل البيت» عليهم السلام أيضاً، هنا كان لابدّ من خطاب يأخذ وقع الهاتف والنداء الخالد الذى يمسح جميع الاحتمالات الباطلة ويقلب المعانى المحتملة، وما كان لهذا الخطاب إلّاأن يكون على نحو الاستطراد الذى يتخلّل موقع الشبهة نفسه ويقحمه فى عقر داره! فيعلم الجميع أنّ هذه الثلّة مطهّرة منزّهة لا ينتابها شكّ ولا يعتريها باطل، وأنّهم مقولة اخرى من سنخية ونسيج آخر لا علاقة له بالنساء

ولا ـ ارتباط لهنّ به، فلا ينبغى القياس ولا تصحّ المقارنة والربط، ليعلم الجميع أن «لا يُقاس بآل محمّد صلى الله عليه و آله من هذه الامّة أحد» «۱» وهكذا الأمر فى آيات سورة البقرة التى تناولت وضع اليهود ونفسيّاتهم، إذ كان القرآن فى معرض بيان سُبل فلاح المسلمين وسعادتهم، وكيف أنّ اليهود هم أكبر مانع فى طريق تحقّق ذلك، وأنّ الرجاء فى هدايتهم إلى الدين رجاء عقيم والأمل فى إذعانهم للحقّ أمل خائب، من هنا جاءت عبارة فى وسط العبارات التى تشرح أحوال اليهود، وُجّه فيها الخطاب للمسلمين مباشرة تحثّهم على هذا المعنى، وهو أفضل أسلوب وأتمّ صيغة لإلفات النظر إلى ذلك المعنى وترسيخه فى نفوسهم. وبالجملة إنّ إشكال كون «الاستطراد» مخلّاً بالبلاغة خادشاً بالفصاحة- لتكون النتيجة بطلانه ودخول عموم عائلة النبيّ صلى الله عليه و آله أى زوجاته أيضاً فى مدلول الآية بدليل وحدة السياق وعدم الإخلال به لقطع وغيره- مردود، بل إنّه من الأساليب البلاغية المطلوبة آية التطهير، ص: ۹۰ والمستحسنة لما ثبت من استعمالاته القرآنية فى عدّة موارد اخرى «۱». هكذا يثبت أنّ الآيات محلّ البحث قسمت عائلة الرسول صلى الله عليه و آله إلى قسمين: زوجاته وذريّته، وثبت أنّ المقصود من «أهل البيت» عليهم السلام هم الخمسة أصحاب الكساء صلوات اللَّه عليهم أجمعين. آية التطهير، ص: ۹۱

## النكتة الثالثة: المقصود من الإرادة

### الإرادة التكوينية

الإرادة التكوينية الإرادة التكوينية- كما هو ظاهر من اسمها- عبارة عن حقيقة الإرادة والحمل الشائع لها «۱»، بمعنى أنّ ذات البارى سبحانه وتعالى أو الفاعل المريد من البشر له إرادة واقعية على إنجاز عمل ما. فالشخص له إرادة لتناول الطعام، ومنشأ هذه الإرادة هو تصوّر الشيء المراد والتصديق بالفائدة والنتيجة، ووجود الميل والرغبة ثمّ النيّة آية التطهير، ص: ۹۲ والعزم، وبعد ذلك الاندفاع وإرادة الشيء. فهو عندما تخطر فى ذهنه فكرة تناول الطعام يستحضر فائدة هذا العمل، من شبع أو لذّة أو غرض صحيّ وطبى، ثمّ يصدّق على صحّة ذلك أى يتحقّق من سلامة الفكرة، وتأتى النيّة والعزم على إثر هذه الرغبة النفسية، وحينما تبلغ الرغبة قمّتها ويصل الشوق «۱» مداه فهو «يريد» الأكل. ف «الإرادة» أمر يظهر بعد المقدّمات الخمسة المذكورة التى بعضها جزء من المبادئ التصوّرية، والبعض الآخر هو جزء الغايات. وحقيقة هذه الإرادة التكوينية أمر ممكن على البارى تعالى «۲»، ومن صفات تلك الذات المقدّسة. ونقول: إنّ اللَّه مريد، ولكن لا على تلك المقدّمات التى ابتنت عليها إرادة البشر، إذ يلزم ترتّب الإرادة الإلهية على تلك المقدّمات إنفعال ذاته المقدّسة وتأثّرها، وهو ممّا مردّه إلى النقص تعالى اللَّه عن ذلك علوّاً كبيراً، ولكن حقيقة الإرادة التى هى عين العلم وعين الذات- على حدّ تعبير المحقّقين- فهى من صفات ذاته المقدّسة. آية التطهير، ص: ۹۳ وفى الإرادة التكوينية تتعلّق الإرادة بفعل المريد والطالب نفسه لا الغير، فاللَّه يريد خلق العالم، أو إحداث زلزال، أو إفاضة الوجود على إنسان. والشخص يريد أن يأكل، أو يمشى، أو يتعلّم أو... ولكن هناك تفاوت بين إرادة اللَّه وإرادة الإنسان، ففى الإرادة الأزليّة للبارئ تعالى لا يتخلّف المُراد عن الإرادة، ولابدّ من تحقّق كلّ ما أراده المريد، أمّا فى الإنسان فالإرادة والمراد قابلة للتفكيك، وقد يتخلّف المراد عن الإرادة ولا يتحقّق لعلّة ما.

### الإرادة التشريعية

الإرادة التشريعية الإرادة التشريعيّة هى إرادة شخص إنجاز عمل ما وفقاً لرضاه واختياره، كأن يريد الأب من ابنه أن يدرس، وحتّى يبلغ هذا الأمر مرحلة التطبيق والتنفيذ، فإنّه يطوى مقدّمات، فالأب تحكمه رغبة وشوق مؤكّد لأن ينشغل ابنه بالدرس، أو يعيش هاجس المحافظة على ابنه من التسكع واللهو وبالتالى الفساد، وصنع مستقلّ جيّد له، هذه الرغبة تدفعه لإصدار أمر الانشغال بالدراسة والنهى عن التسكع واللهو المنجرّ إلى الفساد. هذه الرغبة الملحّة وهذا الشوق المؤكَّد الذى يستتبعه الأمر والنهى هو الإرادة التشريعية، وفى

ضوء الدراسهٔ التی تمّت حول الإرادهٔ التکوینیهٔ للباری تعالی نقول: إنّ الإرادهٔ التشـریعیهٔ للّه سـبحانه هی الأوامر والنواهی الشـرعیهٔ. آیهٔ التطهیر، ص: ۹۴

## الإرادهٔ التکوینیهٔ والإرادهٔ التشریعیهٔ فی القرآن الکریم

الإرادهٔ التکوینیـهٔ والإرادهٔ التشـریعیهٔ فی القرآن الکریم نلمـح فی القرآن الکریم العدید من الآیات التی تضـمّنت الإرادتین، نسـتعرض بعضـها باختصار، ونذکر أوّلًا بعض التی تشیر إلی الإرادهٔ التکوینیهٔ: ۱- إِنَّ اللَّهَ یُدْخِلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْری مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ یَفْعَلُ مَا یُرِیدُ «۱» . والإرادهٔ فی لفظـهٔ «یرید» فی الآیهٔ الکریمهٔ من قبیل الإرادهٔ التکوینیهٔ، والمعنی أنّ إرادهٔ الباری غیر قابلهٔ للتخلّف، وأنّ کلّ ما یریده اللّه سبحانه وتعالی متحقّق لا محالهٔ. ۲- إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ «۲» . وهذه الآیـهٔ فی غایـهٔ الوضوح علی الإرادهٔ التکوینیهٔ، وکیف أنّ الشـیء یرتدی حلّهٔ الوجود، والمراد یکتسب نور التحقّق بمجرّد توجّه العنایهٔ والرغبهٔ الربّانیهٔ إلیه. ۳-... إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِمَا یُرِیـدُ «۳» ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِیـدُ* فَعَّالٌ لِمَا یُرِیدُ «۴» . وجملـهٔ «فعّال لما یرید» من مصادیق الإشارهٔ إلی الإرادهٔ الربانیـهٔ التکوینیـهٔ، إذ بمجرّد انبعاثها یتحقّق المراد، وما یریـده الباری فهو ما سیقع ویتحقّق. کانت هـذه نماذج من آیـات مسـتفیضهٔ تشـیر إلی وجود إرادهٔ للّه سـبحانه، وأنّ هـذه الإرادهٔ مُنجّزهٔ ومُتحقّقـهٔ قطعـاً. آیـهٔ التطهیر، ص: ۹۵ ومن الآیـات التی تتضـمّن وجود إرادهٔ تکوینیـهٔ للإنسان وإمکان تخلّف المراد عن الإرادهٔ فی هـذه الحالهٔ، نذکر جملهٔ منها: ۱- یُرِیدُونَ لِیُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ کَرِهَ الْکَافِرُونَ «۱» . ۲- یُرِیـدُونَ أَنْ یَخْرُجُوا مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِینَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِیمٌ «۲» . وفی هـذه الآیـات یتّضـح معنی أنّ الإرادهٔ التکوینیـهٔ للبشـر ورغبتهم لا تتحقّق دائماً، وبطبیعـهٔ الحال فهی لیست نافـذهٔ بالضـرورهٔ، ویسـتفاد کذلک من هذه الآیات أنّ هذه الإرادهٔ البشـریهٔ محکومهٔ ومقهورهٔ بالإرادهٔ الأزلیهٔ للباری تعالی، وعندما تصـطدم وتتعارض الإرادتان، فإنّ ما یریده اللّه هو ما سیجری ویتحقّق لا ما یریده الناس.

## أمّا الآیات التی تشیر إلی الإرادهٔ التشریعیهٔ، فمنها:

أمّا الآیات التی تشـیر إلی الإرادهٔ التشریعیهٔ، فمنها: ۱- یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَی الصَّلَاهِٔ فَاغْسِلُوا وُجُوهَکُمْ وَأَیْدِیَکُمْ إِلَی الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِکُمْ وَأَرْجُلَکُمْ إِلَی الْکَعْبَیْنِ وَإِنْ کُنْتُمْ جُنُبـاً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ کُنْتُمْ مَرْضَـی أَوْ عَلَی سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَـدٌ مِنْکُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِکُمْ وَأَیْدِیکُمْ مِنْهُ مَا یُرِیـدُ اللَّهُ لِیَجْعَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ حَرَجٍ آیهٔ التطهیر، ص: ۹۶ وَلَکِنْ یُرِیـدُ لِیُطَهِّرَکُمْ وَلِیُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ «۱» . من المسـلّم أنّ الإرادهٔ فی هـذه الآیهٔ الشـریفهٔ یُرِیدُ لِیُطَهِّرَکُمْ إرادهٔ تشـریعیهٔ، أی أنّ الهدف الإلهی من جعل هذه الأحکام هو تطهیر الناس، إذن فالإرادهٔ التشریعیهٔ هنا هی وضع أحکام الطهارهٔ من غسـل ووضوء وتیمّم، والهـدف هو طهـارهٔ النـاس من الحـدث والخبث، وبـدیهی أنّ البعض سـیمتثل لهـذه الأحکـام ویعمل بها، بینما سیعرض عنها آخرون ولا ینفـذونها، أمّا لو کانت إرادهٔ إلهیهٔ علی نحو التکوین لما أمکن لأحد أن یتخلّف عن تطهیر نفسه. وقد ذکرنا فی معنی الإرادهٔ التشـریعیهٔ أنّهـا تتعلّق بفعل الغیر- علی ضوء إرادته واختیاره- وفی هـذه الآیـهٔ اضـیفت إرادهٔ اللّه سـبحانه وتعالی إلی أفعـال الناس، وغایتها أن یقوم المؤمنون وفق اختیارهم بالوضوء والغسل والتیمّم، وکون الإرادهٔ هنا تعلّقت بفعل الإنسان، إذن لا تردید أنّ الإرادهٔ فی هـذه الآیهٔ یُرِیدُ لِیُطَهِّرَکُمْ إرادهٔ تشـریعیهٔ لا تکوینیهٔ. ۲-... فَمَنْ شَـهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُـمْهُ وَمَنْ کَانَ مَرِیضاً أَوْ عَلَی سَفَرٍ فَعِدَّهٌٔ مِنْ أَیَّامٍ أُخَرَ یُرِیدُ اللَّهُ بِکُمُ الْیُسْرَ وَلَا یُرِیدُ بِکُم الْعُسْرَ... «۲» . وممّا سبق بیانه فی الآیهٔ السابقهٔ یتّضح أنّ «الإرادهٔ» فی هذه الآیهٔ من قبیل سابقتها تشریعیهٔ أیضاً، وأنّها بصدد وضع قانون آیهٔ التطهیر، ص: ۹۷ الصیام وضوابطه المختلفهٔ المتعلّقهٔ بالسفر والحضر أو الصحّهٔ والمرض، بمـا یخفّف علی المضـطرّین، ولا- یوقعهم فی العُسـر والمشـقّهٔ، ویجعـل الصـیام مفروضـاً علی الجمیع دون مراعـاهٔ للحالات الخاصّهٔ، إذن الإرادهٔ فی الآیهٔ تتعلّق بتشریع الأحکام والفروض، ولیست هذه إلّاالإرادهٔ التشریعیّهٔ بعینها.

## الإرادة فی آیة التطهیر

الإرادة فی آیـة التطهیر بعـد بیان نوعیّ الإرادة، لننظر فی آیـة إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً من أیّ القسمین هی؟ ذهب بعض مفسِّری العامّهٔ وکبار علمـائهم إلی أنّ الإرادة فی آیـة التطهیر هی من قبیل الإرادة التشریعیة، ویرجع هـذا الرأی إلی مـا افترضوه فی أنّ مخاطب الآیـة هو زوجـات النبیّ صـلی الله علیه و آله، أو مـا هو أعمّ من الزوجـات وأهل البیت، وذلک لوقوعها فی سیاق الآیات التی کانت تحثّ الزوجات وترغبهنّ بأعمال معیّنـة وتحدّد لهنّ تکالیفهنّ تجاه الرسول صـلی الله علیه و آله، فافترضوا أنّ التطهیر المشار إلیه فی الآیة هو محصلة امتثالهنّ وقیامهنّ بما امرن به، وعلی هذا یکون الغرض من هذا التشریع (فی الآیة) تطهیر زوجـات النبیّ صـلی الله علیه و آله وأهـل بیته علیهم السـلام وتنزیههنّ عن الـذنب وعصـیان الرسول صـلی الله علیه و آله، وأنّه تطهیر تشـریعی یعقّب العمل الذی یقوم به المکلّف وفق اختیاره ورغبته، لا تکوینی سـیتحقّق بإرادة الباری عزّوجلّ وبصـرف النظر عن فعل ورغبة المکلّف.

## ماذا یقول سیّد قطب فی ظلاله؟

ماذا یقول سـیّد قطب فی ظلاله؟ یقول فی ذیل آیة التطهیر: «فی العبارة تلطّف ببیان علّة التکلیف وغایته، تلطّف یشیر بأنّ اللَّه سبحانه- یشـعرهم بأنّه بـذاته العلیّة- آیة التطهیر، ص: ۹۸ یتولّی تطهیرهم وإذهاب الرجس عنهم؛ وهی رعایـة علویـة مباشـرة بأهل هـذا البیت، وحین نتصوّر من هو القائل- سـبحانه وتعالی- ربّ هـذا الکون، الـذی قال للکون: کن فکان. اللَّه ذو الجلال والإکرام، المهیمن العزیز الجبّار المتکبّر. وأخیراً فـإنّه یجعـل تلـک الأـوامر والتوجیهـات وسـیلة لإذهـاب الرجس وتطهیر البیت، فـالتطهیر من التطهّر، وإذهـاب الرجس یتمّ بوسائل یأخـذ الناس بها أنفسـهم ویحقّقونها فی واقع الحیاة العملی» «۱». علی هذا المبنی الذی یفرضه سـیّد قطب فی آیة التطهیر فلا سبیل أمامه إلّااعتبار الإرادة هنا تشـریعیة، إذ هو یفرض العلّة فی التکلیف إزالة الرجس والتحلّی بالطهارة، وعلیه فإنّ الأوامر والنواهی التی جـاءت بهـا الآیـات السابقـة للنسـاء کـانت لتحقّق هـذه الحالـة، الحالـة التی لن توجـد وتتحقّق إلّامن خلال العمل بتلک التکالیف، ومن ثمّ لیست إرادة الباری سوی تشریع الأحکام لهنّ، وهذا التشریع جاء لمجرّد إزالة الرجس وإیجاد الطهارة. ومع أنّ سیّد قطب یصـرّح فی بعض عباراته بأنّ اللَّه سـبحانه وتعالی باشـر بـذاته المقدّسة تطهیر أهل البیت وتولّی إذهاب الرجس عنهم، (اللَّه الذی یخلع الوجود علی مخاطبیه بمجرّد «کن» فیکونون، وهـذه العبارات لا تلیق ولا تناسب إلّاشأن الإرادة التکوینیـة، فالخطاب ب «کن» من أبرز مصادیق الحالـة التکوینیـة) لکن الرجل فی بدایـة حـدیثه ونهایته جعل آیة التطهیر علّة وغایة لفرض واجبات وإلقاء تکالیف إلهیة علی نسـاء النـبیّ صـلی الله علیه و آله، وأنّ الامتثـال لهـذه آیـة التطهیر، ص: ۹۹ التکـالیف هو السبیـل الوحیـد للخلاص من الأرجاس والتحلّی بالطهارة، وهـذا الترکیب لا ینطبق إلّامع الإرادة التشـریعیة التی تبیّن لنا أنّها متعلّقـة بفعل المکلّف. علی هـذا یمکننا القول: إنّ سیّد قطب یـذهب إلی أنّ الإرادة الإلهیة فی آیة التطهیر تشـریعیة لکنّه لم یصـرّح بهذا المعنی، کما أنّه جاء ببعض خصائص وممیّزات الإرادة التکوینیة وطبّقها علی الآیة.

## هل الإرادة فی آیة التطهیر تشریعیّة؟

هل الإرادة فی آیـة التطهیر تشـریعیّة؟ بعـدما اتّضـح أنّ کلتا الإرادتین- التکوینیة والتشـریعیة- مذکورتان فی القرآن الکریم، نقول: إنّ الإرادة فی آیـة التطهیر تکوینیـة بعـدّة أدلّـة: ۱- ینبغی فی تحدیـد معنی «الإـرادة» وغیرهـا من الکلمـات ملاحظـة الظهور النوعی لهـا، والمعنی الـذی یشـکّل الغلبـة ویحقّق لنفسه حالـة الأصل، بحیث یفتقر صـرفه لمعنی آخر إلی القرینـة، وعنـد خلوّ الذکر والإطلاق عن القرائن تُحمـل الکلمـة علی معناهـا الظاهر. وممّا لا شکّ فیه أنّ ظهور «الإرادة» وشـیوع اسـتعمال هـذا اللفظ فی القرآن الکریم هو فی

المعنى التكوينى، بحيث يمكننا القول: إنّ المعنى المقابل، أى التشريعى (أى نفس التكاليف الشرعية من أوامر ونواه) لم يكن فى القرآن إلّانزراً يسيراً، ووفق ما تحرّيناه فإنّه من ۱۳۸ مورداً ذكرت فيه «الإرادة» فقد استعملت فى ۱۳۵ مورداً فى المعنى التكوينى (ونقصد- بطبيعة الحال- الإلهى منه والإنسانى)، واستعملت فى ۳ موارد فقط آية التطهير، ص: ۱۰۰ فى المعنى التشريعى «۱». من هنا نخلص إلى أنّه عند الشكّ فى إحدى معنيى اللفظ، فإنّه يُحمل على ظاهره ما لم تكن هناك قرينة صارفة، وهكذا عند الشكّ فى مدلول «الإرادة» فى آية التطهير، وهل المراد منها التكوينية أم التشريعية، فإنّها تُحمل على التكوينية لأنّه مقتضى الأصل، لما ثبت من غلبة استعماله فى هذا المعنى وبالتالى ظهوره فيه، اللهمّ إلّاأن يُؤتى بقرينة تصرفه عن هذا الظاهر والأصل، ولا قرينة. ۲- وهناك دليل آخر أكثر وضوحاً يحدّد معنى «الإرادة» فى الآية الشريفة، وهو مبتن على الأساس الذى ذكرناه فى التفريق بين نوعى الإرادة، والفصل المميّز لقسمى الإرادة- التكوينية والتشريعية- أى تعلّق الفعل فى الإرادة التكوينية بالمريد نفسه لا بغيره، على عكس التشريعية التى تتعلّق فيها الإرادة بفعل الغير. وفى آية التطهير فإنّ المريد هو اللَّه جلّ وعلا، والمُراد هو إذهاب الرجس والتطهير، والإذهاب والتطهير فى الآية متعلّقان باللَّه، وهما من فعله وعمله، إذ يرجع الضمير فى «ليُذهب» وفى «يطهِّركم» إلى اللَّه سبحانه، وهو فاعل هذين الفعلين، وبناءً على هذا الأساس لابدّ أن يقال: عند تعلّق الإرادة على فعل المريد فهى تكوينية، والمريد هنا هو اللَّه جلّ جلاله، فالإرادة آية التطهير، ص: ۱۰۱ إرادة إلهيّة تكوينية وليست تشريعية، إذ تتعلّق التشريعية بفعل الغير لا بفعل المريد.

## تساؤل

تساؤل يُثار هنا تساؤل حول ما قلناه فى آية الوضوء والغسل والتيمّم وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ «۱» من أنّ «الإرادة» فيها إرادة تشريعية، مع أنّها على نفس شاكلة «الإرادة» التى جاءت فى آية التطهير، وقلنا: بأنّها إرادة تكوينية، فكما «الإذهاب والتطهير» هنا- فى آية التطهير- من فعل اللَّه (المريد) فهى هناك كذلك من فعل اللَّه سبحانه، وفاعل «ليطهركم» ضمير يعود للبارى تعالى «۲».

## ردّ وتوضيح

ردّ وتوضيح المسلّم فى آية الوضوء والغسل والتيمّم أنّ اللَّه سبحانه وتعالى فى مقام تشريع ووضع قوانين الطهارات الثلاث واشتراطها فى الصلاة. ويقتضى التناسب فى الوضع والتقنين أنّ المقصود من التطهير هو رفع وإزالة القذارات العالقة أو الخارجة من جسم الإنسان، وما يتبعها من بلوغ الطهارة الواقعية والمعنوية، وبديهىّ أنّ إزالة هذه القذارات ورفع تلك النجاسات هو فعل الإنسان المكلّف لا فعل اللَّه تعالى! ومن قرينة صدر الآية يتّضح أنّ غرض البارى تعالى هو سنّ ووضع «قانون الطهارة»، حتّى يتمكّن الناس ويعرفوا كيفيّة تطهير أجسامهم وإزالة القذارات عن أبدانهم، وبهذا نعلم أنّ «إرادته» تعالى آية التطهير، ص: ۱۰۲ ليست سوى تشريع هذا القانون، إذن الإرادة هنا تشريعية. ۳- وردت كلمة «الإرادة» واستُعملت فى الآيات التى خاطبت زوجات النبىّ صلى الله عليه و آله فى موضعين آخرين أيضاً: إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا «۱» ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ «۲» ، والمسلّم أنّ الإرادة فى هذين الموضعين تكوينيّة (بشرية)، وهذه قرينة اخرى خاصّة تؤكّد مسألة ظهور المعنى فى التكوينية، وكونه الأصل فى آية التطهير التى تلى هذه الآيات، فالإرادة هى من النوع نفسه فى جميع هذه الآيات (تكوينية) وتدور حول هذا المحور، بفارق أنّ المريد فى الآيتين السابقتين هو نساء النبىّ صلى الله عليه و آله، وفى آية التطهير هو اللَّه سبحانه وتعالى. ۴- من المسلّم لدى الجميع (عند من قال: بأنّ الإرادة فى آية التطهير تشريعيّة ومن قال: بأنّها تكوينيّة) أنّ هذه الآية الشريفة تشكّل امتيازاً وخصوصيّة وتُعتبر تشريفاً ونوعاً من التفوّق والفضل لأهل البيت عليهم السلام. فإذا قلنا: إنّ «الإرادة» فى آية التطهير تشريعية فعلينا أن نحدّد موقع التشريع فيها، وبعبارة اخرى: ما هى القوانين التى وضعها الشارع المقدّس فى هذه الآية؟ هل تراها شيئاً آخر غير الحثّ على طاعة الرسول صلى الله عليه و آله والتوجّه للآخرة والاهتمام بها، والإعراض عن الدنيا وعدم ارتكاب الفواحش والمعاصى؟ وهل هذه التكاليف تشكّل برنامجاً لأهل البيت عليهم

السلام ونساء النبیّ صلی الله علیه و آله خاصّهٔ أم أنّها أحکام وتشریعات تشمل جمیع المسلمین والمسلمات، فأین التکریم والتشریف آیهٔ التطهیر، ص: ۱۰۳ إذن؟ وأین التفوّق والفضل؟! فمن یقول: بأنّ الإرادهٔ هنا فی هذه الآیهٔ تشریعیهٔ لابدّ له من مخالفهٔ إجماع المفسّرین واتّفاق العلماء علی أنّ فی الآیهٔ خصوصیّهٔ وفضیلهٔ مّا لأهل البیت علیهم السلام! إذ إنّ حمل الإرادهٔ علی التشریعیهٔ یلغی أیّهٔ مزیّهٔ وخصوصیّهٔ لأهل البیت علیهم السلام، إذ یعود شأنهم کشأن غیرهم من التکلیف بالأحکام السابقهٔ التی ثبت وجوبها علی الجمیع «۱». من هنا لا محیص – لمجاراهٔ المفاد المتّفق علیه من وجود آیهٔ التطهیر، ص: ۱۰۴ خصوصیّهٔ وفضیلهٔ فی الآیهٔ – من الإذعان بأنّ الإرادهٔ فی آیهٔ التطهیر لیست تشریعیهٔ بل تکوینیهٔ. ۵- ذکرنا آنفاً أنّ الآیات قسّمت عائلهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله إلی فریقین: الأوّل: مجموعهٔ زوجات النبیّ صلی الله علیه و آله، وقد فرض علیهنّ برنامج تربوی معیّن، وبیّنت الآیات أنّ العمل بهذا البرنامج هو السبیل لبقاء انتسابهنّ لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله وارتباطهنّ به، وإلّا فمصیرهنّ الطرد والانفصال عنه. الثانی: هو أهل البیت علیهم السلام الذین تُعدّ العدّهٔ لهم لیتبوّؤا زعامهٔ المسلمین وقیادهٔ خط الهدی والدین، وأنّ اللَّه سبحانه هو الذی یتولّی هذا الإعداد وینهض باصطفائهم وهو یطهّرهم عن الرجس وینزّههم عن المعصیهٔ، وعلی هذا فإنّ آیهٔ إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ.. جملهٔ اعتراضیهٔ – کما أسلفنا – جاءت فی وسط آیات النساء، انصبّت رسالتها ودار محورها علی تسجیل ظاهرهٔ معنویّهٔ وحقیقیّهٔ هی إرادهٔ إذهاب الرجس عن هذا الفریق وتنزیهه. إذن فالإرادهٔ هنا لا علاقهٔ لها بأیّ نحو بالأحکام التی سبق تشریعها فی سائر الآیات، ولا یمکن للآیات التی خاطبت زوجات النبیّ صلی الله علیه و آله أن تکون قرینهٔ علی الإرادهٔ التشریعیّهٔ فی آیهٔ التطهیر، بل هی باقیهٔ علی معناها التکوینی، وتُحمل علی أصلها وظاهرها الذی کانت علیه. آیهٔ التطهیر، ص: ۱۰۵ نعم، قد یسأل سائل: کیف صنّفتم هذا التصنیف وعلی أیّ أساس جعلتم «أهل البیت» فریقاً خاصّاً منحصراً بالسادهٔ الخمسهٔ صلوات اللَّه علیهم؟... وفضلًا عمّا سبق بیانه، فإنّ جواب هذا السؤال سیأتیک مفصّلًا.

## حدیث مع الآلوسی

حدیث مع الآلوسی مع أنّ شهاب الدین محمود الآلوسی – مفتی بغداد المتوفّی سنهٔ ۱۲۷۰ – ذهب إلی أنّ «الإرادهٔ» فی آیهٔ التطهیر إرادهٔ تکوینیهٔ، لکنّه فی الوقت نفسه طرح إشکالًا علی ذلک وتعاجز عن ردّه مکتفیاً بالإثارهٔ! إذ یقول: «... وقد یُستدلّ علی کون الإرادهٔ هاهنا بالمعنی المذکور (التشریعیهٔ) لا المشهور (التکوینیهٔ)، الذی یتحقّق عنده الفعل بأنّه صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم قال حین أدخل علیّاً وفاطمهٔ والحسنین رضی اللَّه تعالی عنهم تحت الکساء: «اللّهم هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً» فإنّه أیّ حاجهٔ للدعاء لو کان ذلک مراداً بالإرادهٔ بالمعنی المشهور (التکوینیهٔ)، وهل هو إلّادعاء بحصول واجب الحصول؟» «۱» . وحتّی لا نکون مثل الآلوسی الذی ترک سؤاله معلّقاً دون إجابهٔ! نقول: سبق أن أثبتنا أنّ سیاق الحدیث وترکیب الکلام یُظهر أنّ عبارهٔ آیهٔ التطهیر، ص: ۱۰۶ «اللّهم هؤلاء...» فی دعاء الرسول صلی الله علیه و آله جاءت لتحدید وبیان من هم المقصودون من «أهل البیت» علیهم السلام، فهو صلی الله علیه و آله یخاطب ربّه ویحدّد فی خطابه أنّ «هؤلاء هم أهل بیتی» حتّی یعرف الناس من هم أهل البیت، ومن هم الذین أراد اللَّه تطهیرهم وإذهاب الرجس عنهم «۱»؟ وإلّا فإنّ الإشکال (سؤال الآلوسی) نفسه، بل ما هو أکبر منه سیرد علی الدعاء إذا ما افترضنا أنّ الإرادهٔ الإلهیهٔ فی الآیهٔ تشریعیّهٔ ولیست تکوینیّهٔ! فما معنی أن یقول النبیّ صلی الله علیه و آله ویدعو (ویکون معنی دعائه علی فرض الإرادهٔ التشریعیّهٔ): «اللّهم اجعل أهل بیتی مشمولین بأمرک ونهیک، وأبعدهم عن الآثار السلبیهٔ للنواهی بتشریع النهی وفرضه علیهم!؟» أولیست الآیات متوجّههٔ بالأصل بالخطاب والتکلیف إلیهم؟ حتّی یأتی النبیّ صلی الله علیه و آله ویتوجّه بالدعاء للَّه سبحانه أن: إلهی أشمل أهل البیت بهذه التکالیف! ألیس هذا هو الفرض (علی القول بالإرادهٔ التشریعیّهٔ)؟

## حدیث آخر مع الآلوسی

حدیث آخر مع الآلوسی مع ما یُلاحظ علی صاحب تفسیر «روح المعانی» من مستوی آیهٔ التطهیر، ص: ۱۰۷ علمی لا بأس به وما

يُسجل له- عند مقارنته بعلماء العامة- من حظّ ونصيب فى العلم والتحقيق، لكن يظهر أنّ التعصّب يعمى الإنسان ويشطط به فى متاهات غريبة! فالرجل يذهب إلى أنّ «الإرادة» فى الآية تكوينية، وأنّ عبارة «أهل البيت» عليهم السلام تعنى وتشمل الخمسة أصحاب الكساء صلوات اللَّه عليهم، وعندما يقف على مدلول الآية ومفادها، وأنّ الثمرة والنتيجة العلمية التى تخلّص منها هى عصمة علىّ وبنيه عليهم السلام وطهارتهم وفضلهم، فإنّ هذه الحقيقة الناصعة والآية الناطقة تهزّ الآلوسى وأضرابه بشدّة وتربكهم وتوقعهم فى اضطراب! ومن هنا نجد كيف يورد التعصّب صاحبه المهالك، وكيف يقع الآلوسى هنا فيما يفقده توازنه ورصانته ويخرجه عن طوره! فيسعى سعى العاجز ويتعسف فى توجيه الآية ليصرف هذه الفضيلة عن أهل البيت عليهم السلام ويخرجهم عن غطائها! خلاصة محاولته، وموجز كلامه: «... لأنّ المعنى حسب ما ينساق إليه الذهن ويقتضيه وقوع الجملة موقع التعليل للنهى والأمر نهاكم اللَّه تعالى وأمركم؛ لأنّه عزّوجلّ يريد بنهيكم وأمركم إذهاب الرجس عنكم وتطهيركم وفى ذلك غاية المصلحة لكم، ولا يريد بذلك امتحانكم وتكليفكم بلا منفعة تعود إليكم، وهو على معنى الشرط، أى يريد بنهيكم وأمركم ليذهب عنكم الرجس ويطهّركم أن انتهيتم وائتمرتم، ضرورة أنّ اسلوب الآية نحو اسلوب قول القائل لجماعة علم أنّهم إذا شربوا الماء أذهب عنهم عطشهم لا محالة، يريد اللَّه سبحانه بالماء ليذهب عنكم العطش، فإنّه على معنى يريد سبحانه بالماء إذهاب العطش عنكم إن شربتموه، فيكون المراد آية التطهير، ص: ۱۰۸ إذهاب العطش بشرط شرب المخاطبين الماء لا الإذهاب مطلقاً. فمفاد التركيب فى المثال تحقّق إذهاب العطش بعد شرب الماء، وفيما نحن فيه إذهاب الرجس والتطهير بعد الانتهاء والائتمار؛ لأنّ المراد الإذهاب المذكور بشرطهما، فهو متحقّق الوقوع بعد تحقّق الشرط وتحقّقه غير معلوم، إذ هو أمر اختيارى وليس متعلّق الإرادة» «۱» .

## جواب موجز

جواب موجز: ۱- إنّ الاعتراف بكون «الإرادة» من القسم التكوينى، ثمّ تعليق ذلك على شرط الطاعة فى الأوامر والنواهى هو تراجع وعدول عن هذا الإقرار والاعتراف، وبعبارة اخرى: فإنّ فرض تلازم بين الإرادة التكوينية والطاعة هو بمثابة تحايل على القول بالإرادة التكوينية، ويُعدّ تقريراً وإمضاءً ضمنياً بأنّ الإرادة فى الآية هى إرادة تشريعية، إذ إنّ المعنى- بلحاظ ذلك الشرط- يغدو: إنّ اللَّه كلّفكم بأوامر ونواه وتعلّقت إرادته فى تطهيركم على عملكم بتلك التكاليف تماماً، كما تتعلّق إرادة اللَّه فى سمو الإنسان وتكامله الروحى على أداء الصلاة، ف «الصلاة معراج المؤمن» «۲». إذن فالبارى تعالى أراد «لأهل البيت» عليهم السلام الامتثال لأوامره ونواهيه حتّى يطهّرهم، كما أراد للإنسان أن يصلّى حتّى يعرج إليه، ولعمرى هل تعنى الإرادة التشريعيّة غير هذا؟! بناءً على ذلك فإنّ آية التطهير، ص: ۱۰۹ لازم تلك الملازمة عدول الآلوسى عن القول بأنّ «الإرادة» فى آية التطهير تكوينيّة. ۲- تكرّر القول بأنّ آية التطهير جاءت بين الآيات على نحو الجملة الاعتراضية، ومعنى ذلك أنّها أجنبية وغريبة عمّا سبقها ولحقها من الآيات، وأثبتنا أنّ هذا من الصور البلاغية التى لها عدّة أمثلة فى القرآن الكريم، على هذا فإنّ الجملة الخارجية لا يمكنها أن تكون تعليلًا وشرطاً للآيات التى تكفّلت الأوامر والنواهى. وقد أجبنا بالتفصيل آنفاً على ما قد يثيره الآلوسى وأضرابه هنا من شُبهة مناسبة التدوين وإقحام آية التطهير فى هذا الموضع، ولا داعى لتكرار القول بأنّ الآيات قسّمت عائلة النبىّ صلى الله عليه و آله إلى فريقين ولم يكن أنسب من هذا الموضع لبيان الفرق واستثناء «أهل البيت» عليهم السلام من مظانّ الانحراف والعصيان، وما اثير من احتمالاتٍ بحقّ زوجات النبىّ صلى الله عليه و آله لقطع الطريق على المغرضين من خلال دفع هذا الوهم، فأهل البيت عليهم السلام ليسوا كزوجات النبىّ صلى الله عليه و آله، ولا تنبغى ولا تصحّ المقارنة بينهما، ولم يكن أفضل من هذا الموضع لهذه الآية حتّى تؤدّى ذلك الدور. ۳- إذا افترضنا الملازمة وقلنا: إنّما تتحقّق إرادة البارى فى تطهير «أهل البيت» عليهم السلام عند امتثالهم لأوامر اللَّه ونواهيه، فإنّ ذلك ينفى ويلغى أىّ امتياز وفضيلة تقرّرها الآية لهم (ومن المتّفق عليه بين الجميع أنّ الآية تشكّل فضيلة ومنقبة خاصّة «لأهل البيت» عليهم السلام؛ لأنّ القاعدة سارية على جميع المسلمين، فإذا ما أطاعوا اللَّه فإنّ النتيجة ستشملهم). وهل من الممكن أن يلازم التقوى مسلم ويطيع رسول اللَّه صلى

الله علیه و آله ویتجنّب القبائح ثمّ لا یکون محلّاً لعنایهٔ اللّه تعالی، ولا یتطهّر ویبقی ملوّثاً آیهٔ التطهیر، ص: ۱۱۰ بالأرجاس؟! هل یصحّ حصر نتیجهٔ تلک المقدّمهٔ فی «أهل البیت» علیهم السلام فقط بحیث لو کانوا کذلک لأصبحوا هکذا؟! ألا یشکِّل هذا حالهٔ من التفرقهٔ وعدم المساواهٔ؟ ألا یخلّ بالموضوعیهٔ والعدالهٔ التی تفترض انطلاق الجمیع فی طریق السلوک والرقی الروحی من نقطهٔ بدء واحدهٔ، وتتاح لهم الفرصهٔ علی السواء بما یمکنهم نیل الأجر والرحمهٔ واللطف الإلهی علی قدر السعی والإخلاص؟ ألا یعنی هذا أنّ الإسلام لا یفسح مجال التکامل وأسباب نیل السعادهٔ وکسب الرضوان الإلهی أمام الجمیع علی السواء؟! وإذا قال الآلوسی: إنّ الوجه الذی تمیّز به «أهل البیت» علیهم السلام هو أنّ اللّه سبحانه اختصّهم بالمزید من العنایهٔ والاهتمام فی قبول أعمالهم، وأنّ آیهٔ التطهیر تزیدهم أملًا وتفاؤلًا فی قبول صالح أعمالهم، ممّا لا یخدش بالمساواهٔ ولا یثیر الإشکال السابق. فنقول فی الردّ علیه: ما هو الدلیل علی هذا المدّعی ومن أیّ مواضع الآیهٔ الشریفهٔ انتُزع هذا المعنی؟ ولعمری هل علینا أن نختلق ونتعسّف إلی هذا الحدّ لنبرّر أوهام ومدّعیات ما أنزل اللّه بها من سلطان؟ فأین الأمل والمزید من التفاؤل فی قبول الأعمال من التطهیر وإذهاب الرجس؟! هل الآلوسی بصدد تفسیر الآیهٔ واستخراج مدلولها أم أنّه یرید تلفیق وترکیب معنی ینطبق علی رأیه ویتوافق مع ما توهمته مخیّلته؟! إنّ البحث العلمی، وخصوصاً فی تفسیر الآیهٔ القرآنیهٔ یقتضی الموضوعیهٔ والحیاد، بحیث یدخل المفسِّر البحث وهو خالی الذهن من قرار مسبق وعقیدهٔ مُتبنّاهٔ، فینظر فی الآیات إلی ما یؤیّد رأیه ویحمّلها آیهٔ التطهیر، ص: ۱۱۱ المعنی الذی یرید، وإذا ما اعترضته آیهٔ لا- توافقه راح یحتال بکلّ حیلهٔ ویتعسّف فی تأویلها وتفنید مدلولها حتّی یتحقّق مطلوبه! إنّ لهذه المسألهٔ أهمّیهٔ کبیرهٔ فی فهم الأهداف القرآنیهٔ السامیهٔ، وعلی المفسِّر أن ینصاع ویتوافق مع المقاصد القرآنیهٔ لا أن یتلاعب فی المعانی ویقلبها حتّی یبلغ مراده هو. وعلی کلّ حال وبالنظر لما سبق، یظهر بما لا- یقبل الشکّ أنّ الإرادهٔ فی آیهٔ التطهیر- بناءً علی الظهور النوعی- هی إرادهٔ تکوینیهٔ، وهی لطف إلهی خصّ به فریق «أهل البیت» علیهم السلام من عائلهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله بهدف إعداد هذه الثلّهٔ لدور حفظ الدین وقیادهٔ المسلمین، وما یشکّل امتداد خطّ الهدی بعد وفاهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله، وهذا المعنی والرأی موافق لظاهر الآیهٔ ولا یستلزم أیّ تأویل وتعسّف.

## الإرادهٔ التکوینیهٔ والجبر

الإرادهٔ التکوینیهٔ والجبر ظنّ جماعهٔ أنّ القول بالإرادهٔ التکوینیهٔ یثیر شبهةٔ الجبر ولا یسمح بمعالجهٔ مُقنعهٔ لها، فعندما تتعلّق إرادهٔ الباری الأزلیهٔ بطهارهٔ «أهل البیت» علیهم السلام، فإنّ عصمتهم حتمیّهٔ ووقوع الذنب منهم محال عقلًا؛ لأنّ المراد لا یمکنه أن یتخلّف عن المرید (اللّه)، إذن صدور المعاصی عن «أهل البیت» علیهم السلام غیر ممکن بل ممتنع، وهم مجبورون علی الامتناع عن الذنب، مسیّرون علی الطاعهٔ فلا فضل ولا فخر لهم! «۱». آیهٔ التطهیر، ص: ۱۱۲

## خروج من موضع الشبهة

خروج من موضع الشبهة لقد سلک العلماء وطوی المحقّقون طرقاً شتّی لمعالجهٔ شبهةٔ الجبر والتخلّص من هذا الإشکال العویص «۱»، ونحن یمکننا هنا اللجوء إلی اتجاه آخر فی البحث هو إخراج الآیهٔ من مورد الشبهةٔ أصلًا، وهو ما یغنینا عن ولوج مسألهٔ الجبر وتخریجاتها، وبشیء من التدقیق فی مفاد الآیهٔ الشریفهٔ نری أن لا وجود للشبهةٔ حتّی نبحث عن مخرج لها! آیهٔ التطهیر، ص: ۱۱۳ بماذا تتعلّق إرادهٔ الحقّ تعالی فی الآیهٔ الکریمهٔ؟ إذا کان متعلّق الإرادهٔ هو «إبعاد» الرجس والذنب عن «أهل البیت» علیهم السلام لا منعهم عن ارتکابه والوقوع فیه هل یبقی لشبهةٔ الجبر محلّ؟ إذا کان مفاد الآیهٔ هو أنّ الباری أراد إضفاء الحصانهٔ من الذنوب علی «أهل البیت» علیهم السلام وأنّه تعالی متولّی هذا الأمر والقائم علی تحقیقه لکان للشبهةٔ محلّ، ولکن بشیء من التأمّل فی الآیهٔ نری أنّ القرآن الکریم یقول: یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمْ الرِّجْسَ. إنّ إعراب کلمهٔ «لیُذهب» هو مفعول به، وهی ذاتها التی جاءت فی آیات اخری تارهً محلّاهٔ ب «اللام» وتارهً ب «أنْ»، علی سبیل المثال، فقد جاءت فی سورهٔ التوبهٔ: إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِی الْحَیَاهِٔ الدُّنْیَا «۱» ،

وفی السورة نفسها: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا «۲» ، وبملاحظة الآیتین یتبیّن أنّ «اللام» فی الآیة الاولی لیست للغایة بل هی بمعنی «أنْ»، التی جاءت فی الآیة الثانیة، ولا- تردید فی أنّ أنْ یُعذّبهم فی الآیة الثانیة هی مفعول به للفعل «یرید» (علی التأویل بالمصدر، أی: یرید عذابهم). وهکذا فی مواضع اخری من القرآن الکریم: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ «۳» ، ومن هذا القبیل الآیة: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ «۴» ، ونستنبط من هذا التفاوت فی التعبیر اتحاد المعنی بین آیة التطهیر، ص: ۱۱۴ «اللام» و «أن» فی مثل هذه الموارد، وبالنتیجة هو مفعول به للفعل «یرید اللَّه». وبهذا البیان اتّضح أنّ متعلّق الإرادة فی آیة التطهیر هو الإذهاب المراد به الإبعاد، أی أنّ اللَّه أراد إبعاد الرجس عن «أهل البیت» علیهم السلام، بمعنی إیجاد فاصل بینهم وبین المعاصی والأرجاس، إذن التدخّل الإلهی کان من هذه الزاویة فقط، تدخّل یوجد مسافة تفصل بین المعاصی و «أهل البیت» علیهم السلام، فلا تدنو منهم المعاصی ولا- تقربهم الأرجاس. علی هذا فإنّ إرادة الباری لم تنعقد علی عدم فعلهم الذنوب بل علی إیجاد المسافة الفاصلة التی تنزّههم وتبعّدهم عن الذنوب. والوضع المقابل لهذه الحالة هو وجود قرب بین بعض الأشخاص وبین المعاصی والذنوب، هناک اناس یقفون دائماً علی أعتاب المعاصی والأرجاس، وهذا الموقف وهذه الحالة هی مدخل التعاسة ومبعث الشقاء، من هنا فإنّ القرآن ینهی عن الاقتراب من الذنوب حیث لا یعود ثمّة فاصل بین الاقتراب من الذنب واقترافه! وذلک فی قوله تعالی: وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ «۱» . إذن فمفاد آیة التطهیر هو إبعاد الرجس عن «أهل البیت» علیهم السلام (وسیأتی معنی الرجس)، ولا یخلو- بطبیعة الحال- هذا «الإبعاد» من عنایة ولطف إلهی اختصّ به هؤلاء صلوات اللَّه علیهم، ولکنّه لا یعنی آیة التطهیر، ص: ۱۱۵ بأیّ حال من الأحوال سلبهم الإرادة والاختیار وعدم صدور المعصیة عنهم جبراً، إنّ الفصل بین الإنسان والذنب لیس جبراً بل هو توفیق، ولم یشمل الباری تعالی الجمیع بخاصّیة عنایته ومخصوص لطفه، إنّه توفیق وفضل إلهی لا- یؤتیه اللَّه إلّامن یشاء ولا یلقّاه إلّاذو حظّ عظیم. لقد مضت البُنیة والحرکة الاجتماعیة لبعض الأفراد علی نحو جعل حیاتهم أقرب ما تکون لأجواء المعصیة وفی معرض الفساد ومتناوله، فیعیشون إلی جوار الخمارات وفی أوساط تعجّ بدور اللهو والرذیلة، حقّاً إنّه لسوء توفیق وتعاسة تلازم عالم ومجتمعات الیوم حیث یعیش الناس فی بیئة فاسدة ومحیط یغطّ بالفسق والفجور، ولکنّنا نجد أنّ فی وسط هذا العالم المضطرب العاصف بالفساد مَنْ منَّ اللَّه علیه ولطف به ففصل بینه وبین هذا الخضم المتلاطم ونجّاه من الوقوع فی المعاصی، لاشکّ فی أنّ هؤلاء مشمولون بلطف وعنایة إلهیة خاصّة، وهکذا «أهل البیت» علیهم السلام الذین شملتهم بلطف الرحمن- جلّ وعلا- أعظم عنایة بظهور فاصل أبدی بینهم وبین مطلق الرجس، فانصرفوا عن توافه الأمور وأصبح بینهم وبین المعاصی بون شاسع لا تطویه ملایین الفراسخ، فلا یتلوّثون بالذنوب ولا تنالهم المعاصی، ولکن هذه الطهارة عن الذنب لیست أمراً قهریاً اجبر علیه «أهل البیت» علیهم السلام، بل لما کانت أرواحهم السامیة تسبح فی بحر الفضیلة والطاعة بعیداً عن المعاصی والذنوب، فإنّ المعاصی والذنوب- المُبعدة والمنفیة- لا تجد سبیلًا ولا تعثر علی منفذ وملمز یمکنها من اختراق الحُجب الفاصلة بینها وبین تلک الأرواح الطاهرة، فلا یعتری ضمائرهم شیء من شوائب الأرجاس وکدر المعاصی! علی هذا فإنّ دور الإرادة الإلهیة کان مجرّد إیجاد الفاصل بین آیة التطهیر، ص: ۱۱۶ «أهل البیت» علیهم السلام والرجس «۱» لا تحصینهم من الذنوب علی نحو یسلبهم الاختیار ویُدخل الأمر فی الجبر، والفصل- بطبیعة الحال- هو من قبیل اللطف الخاصّ والعنایة، وهو ما یُعبّر عنه ب «التوفیق»، ولا یصحّ بحال أن یوسم هذا التوفیق بالجبر. وللمزید من الدراسة لهذا المبحث الدقیق سنعرض فی الفصل القادم للبحث فی معنی الرجس. آیة التطهیر، ص: ۱۱۷

## النکتة الرابعة

### اشارة

النکتة الرابعة: الرجس فی النظرة القرآنیة ذکرت کلمة «الرجس» فی عشرة مواضع من القرآن الکریم ضمن آیات مختلفة، وبشیء من

التدقيق فى هذه الآيات العشر يتّضح معنى الرجس. وللرجس بطبيعة الحال معنى عام جامع هو الشىء المستقذر، ولكن إطلاق الرجس فى القرآن الكريم شمل منابع القذارة المتعدّدة واستعمل بلحاظ المنشأ الذى ينبعث منه التلوّث الروحى أيضاً. على سبيل المثال فى الآية:... إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «۱» أطلق الرجس على الخمر والقمار والأصنام وأعواد الخشب التى كان أهل الجاهلية يتّخذونها على هيئة السهام ويقتسمون بها (الأزلام)، وقد حُمل هذا المفهوم على تلك الذوات الأربع بلحاظ أنّ تلك الموضوعات عوامل يستتبعها الرجس وينشأ عنها، ويشهد على ذلك الآية التالية: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ «۲» . آية التطهير، ص: ۱۱۸ ومن هاتين الآيتين يتّضح معنى الرجس: فالخمرة تُذهب العقل، والمقامرة تورث العداوة وتزرع الخسّة والدناءة، وذهاب العقل يجعل النفس مرتعاً للرذائل، وبالنتيجة تصاب الروح بالغفلة وتصبح وكراً لعبث الشيطان، فيحرم الإنسان عن التكامل الروحى والسموّ الأخلاقى، وقد اطلق على هذه الظواهر (زوال العقل ونموّ الرذيلة) فى لغة القرآن «رجس» بلحاظ عامل بروزها ومنشأ ظهورها وهو الخمر والميسر و...، باعتبار آثارها التى تتحقّق عند ممارستها وارتكابها، ولذا جاء فى ذيل الآية مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أى أنّها تأتى بتحريض منه، وأنّ غرضه من ذلك هو ما ذكرته الآية ۹۱ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ..، بناءً على ذلك فإنّ الرجس الحقيقى هو تلك النتائج المترتّبة على ارتكاب هاتيك الأفعال وما ينتظره الشيطان منها! أمّا الآية الاخرى من سورة الأنعام فقد عبّرت عن ضيق الصدر وانقباض النفس ب «الرجس» إذ يقول تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ «۱» ويلاحظ أنّ الآية عبّرت عن ضيق الصدر ب «الرجس»، وأنزلته منزلة. إذن فالروح الكدرة بالمعاصى المضطربة بالآثام، المنقبضة التى تعيق القذارات تنفّسها الصحيح، كالمصابين بالربو وضيق آية التطهير، ص: ۱۱۹ التنفّس!... تُسمّى رجساً. فالروح التى استحوذت عليها الأرجاس روح نسجتها القبائح، هى روح تعيش حياة مأساوية، وتجدها عاصية متمرّدة على تطلّعات النور ومنقبضة عن إشراقات الحقّ فى الحياة الإنسانية يعسر عليها هضم الحقائق وفهم البيّنات. وتراها- فى الجهة المقابلة- على النقيض من ذلك روحاً مفعمة بالحياة، تتحلّى بأرضية خصبة، تسبح فى صدر رحب يتلقّى الحقائق بيسر وسهولة ويهتدى لنورها فى رفق ودون تكلّف. ونرى- بتناسب ما- أنّ آية اخرى تعبّر عن الأمراض الروحية والآفات القلبية، كالبخل والحسد والحقد والجهل ب «الرجس» أيضاً، يقول اللّه تعالى: وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ «۱» ، فالآية تقرّر أنّ ذوى الأرواح المريضة والأنفس السقيمة يزدادون علّة وسقماً كلّما نزلت سورة من القرآن، وأنّ الداء القلبى يستفحل فى نفوسهم بتراكم الأمراض والأرجاس حتّى يصابوا بالكفر والإلحاد، ومن التعبير «فزادتهم رجساً إلى رجسهم» المسبوق بقوله تعالى: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يثبت أنّ المرض النفسى والآفة الأخلاقية هى أيضاً «رجس». وممّا ذهب إليه ابن عبّاس، وهو المفسّر الكبير وأحد تلاميذ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فى معنى «الرجس» المذكور فى آية التطهير، حيث فسّره بالمرض القلبى والسقم الروحى، ففى محاورة له مع عمر بن الخطّاب يرد عليه مقالته التى ذكر فيها بنى هاشم بالسوء، إذ قال عمر: «على رِسلك يا ابن عبّاس! أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلّاغشّاً فى أمر قريش لا يزول آية التطهير، ص: ۱۲۰ وحقداً عليها لا يحول» فقال له ابن عبّاس: «مهلًا... لا تنسب هاشماً إلى الغشّ، فإنّ قلوبهم من قلب رسول اللّه الذى طهّره اللّه وزكّاه، وهم أهل البيت الذين قال اللّه تعالى لهم: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۱».

## نتيجة البحث

نتيجة البحث: اتّضح من هذه الآيات أنّ الرجس داء يصيب الروح وينال من سلامتها، فالخمر والميسر كانا رجساً لأنّهما يسلبان العقل ويملآن فراغه فى الصدر بغضاً وعداوة، فهما يضيّقان الخناق على البُعد الملكوتى فى النفس الإنسانية ويصدّانها عن السموّ والتكامل.

فالصدور الکدرة الممتلئة بالرذائل مبتلاة بالرجس، ومثل هذه الصدور تفتقد الأرضیّة لتلقّی الفضائل واستقبال المحاسن، وتتقاعس عن السعی فی طریق الکمال والأخذ بأسباب النجاة، وتجدها تقضی حیاتها أسیرة فی حبائل الشهوات متردّیة فی مستنقعات الحقد والحسد، وهذا التلوّث بالرجس هو الذی یقود البشریة إلی الدمار ویسوقها نحو مصیر مؤسف ومستقبل مظلم! وعلی أیّ حال، فإنّ جمیع الأمراض الروحیة والآفات الأخلاقیة التی تخفت أوار الحقّ وبریق إشعاعه فی ضمیر الإنسان وتکدر صفاء الروح وتنال من عظمة النفس، وتقضی علی الخیر المودع فیها والذی یتجلّی فی صور التسلیم للحقّ والإذعان للحقیقة بعد السعی لها وللقیم آیة التطهیر، ص: ۱۲۱ المعنویة العالیة هی رجس. والآن، بعد أن اتّضح معنی الرجس بالاصطلاح القرآنی نری أنّ جمیع عوامل الشقاء قد اطلق علیها الرجس، فهو العلّة الاولی لجمیع الأمراض الروحیة التی تحول بین المرء وإدراکه الحقائق، وتدفعه للتمرّد والطغیان والمکابرة علی الرضوخ للحقّ، وعدم الإذعان للقیم المعنویة حتّی ینتهی الأمر به إلی الکفر والإلحاد، إنّ «الرجس» یعرّی الإنسان عن جمیع الفضائل ویخلفه روحاً مُشبعة بالآفات والأسقام، وقد جعل القرآن «ضیق الصدر» عنواناً جامعاً لهذه العلل. علی هذا فإنّ مؤدّی آیة التطهیر هو أنّ اللّه سبحانه شرح صدور «أهل البیت» علیهم السلام، ولم یبتلهم بضیق الصدر، وصوّر قلوبهم سلیمة معافاة من الأمراض الروحیة التی جعل بینها وبینهم فاصلًا وبوناً لا یسمح بسریان الداء وتسرّبه إلیهم. إنّ «أهل البیت» علیهم السلام الذین انفصلوا عن الآفات والأمراض التی تحول بین المرء والإذعان للحقّ وتدفعه للتمرّد علیه، تجدهم بتلک القلوب النقیّة والصدور الرحبة فی حالة من الانقیاد المحض لإرادة الباری تعالی، والاستعداد التام لتلقّی القیم المعنویة وفهم دقائق أسرارها، وقد سلکت بهم تلک الفاصلة وهذه الرحابة إلی قمّة الإنسانیة الشامخة، وجعلتهم صفوة اللّه التی تسبح فی بحر الفضائل والکمالات. وما هذا الفاصل وتلک الرحابة إلّامن فضل اللّه فَمَنْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسلامِ... «۱» . آیة التطهیر، ص: ۱۲۲ لذا فإنّ عدم تلوّثهم بالذنوب معلول لسعة صدورهم ورحابتها وامتلاء أرواحهم بالفضائل والکمالات وتعلّقها، هکذا یتبیّن أنّ آیة التطهیر شاهد صدق علی عظمة أرواح هذه الصفوة، وبرهان حقّ علی سمو أفکارهم وتحرّرهم من قیود الآفات الروحیة وخلاصهم من تبعات الأمراض الأخلاقیة، وما هذه العظمة إلّاموهبة إلهیة، وهی التی نزّهتهم عن الذنوب وطهّرتهم عن المعاصی، وهی التی فتحت أبواب الفضائل والخیرات أمامهم لینهلوا منها الغایة والحدّ الأقصی، فالإنسان العظیم لا یجاور الرذائل، والفکر السلیم لا یستمدّ من الخرافات والأباطیل، والنفوس القویّة والهمم العالیة لا تتمکّن منها الاضطرابات الروحیة ولا یمکنها أن تصبوا إلی المعاصی، وآیة التطهیر عنوان وعلامة علی تمتّع «أهل البیت» علیهم السلام بهذه الکمالات الروحیة الدافعة إلی الخیر والمانعة للشرّ، فلعمری إن کانت هذه المواهب الجمّة والفیوضات الزاخرة التی نزلت علی «أهل البیت» علیهم السلام جبراً فأیّ فیضٍ لا یکون کذلک ومتی وفیمن تتحقّق حالة الإرادة والاختیار؟! فعندما نری علیّاً علیه السلام یمثّل القمّة فی التقوی، فلأنّه ینطلق من تلک الرکائز، وإذا کان یقول: «واللّه لو اعطیتُ الأقالیم السبعة بما تحت أفلاکها علی أن أعصی اللّه فی نملة أسلبها جلب شعیرة ما فعلته» «۱» ، وإذا کانت الدنیا عنده أزهد من عفطة عنز «۲» وأهون من ورقة فی فم آیة التطهیر، ص: ۱۲۳ جرادة تقضمها «۱»، وکعراق خنزیر فی ید مجذوم «۲»، وکانت قیمة الرئاسة والإمرة عنده دون شسع نعل بالیة «۳»! فکلّ ذلک لما أشارت إلیه آیة التطهیر من المنح والمواهب الإلهیة التی منّ اللّه بها علی أمیر المؤمنین علیه السلام، فنوّره بالعلم والمعرفة، وأذهب عنه الرجس وطهّره تطهیراً، فتسامی علی هذا العالم وتعالی عن هذه الدنیا وحلّق فی سماء المجد والعظمة فی الآفاق التی أرادها اللّه له وللعترة الطاهرة صلوات اللّه علیهم أجمعین. وهکذا إذا وجدنا ابنه الحسین علیه السلام یقدّم رضیعه ذا الأشهر الستّة وفتاه ذا الثمانیة عشر ربیعاً قرابین علی طریق محبّة اللّه وفی سبیل إنقاذ عباده من جور یزید وتحریرهم من استبداده، ویتلو ذلک بسوق نسائه وعقائل بیته الشریف اساری لبنی امیة وابن آکلة الأکباد، فذلک لتلک المواهب والنعم التی سبقت له من الباری عزّوجلّ وجعلته- کنتیجة للابتعاد عن الرجس- عاشقاً للّه، مسلّماً لأمره وإرادته، هائماً فی حبّه ومؤثره علی التعلّق بالدنیا وحبّ فلذات کبده!

## تقریر حقیقة

تقریر حقیقـة وما کان هـذا اللطف الخاصّ لیأتی عبثاً وخبطاً مزاجیاً لا یخضع لقاعـدة وأساس ومعیار، ولا یظنّن أحـد أنّ العنایة الإلهیة تنصب دون آیة التطهیر، ص: ۱۲۴ حکمة وبشـکل عشوائی لا یراعی استعداد الإنسان وقابلیته لتلقّی هذا العطاء الکبیر، وأنّ الأمر شمل «أهـل البیت» علیهم السـلام لمجرّد کونهم أهـل بیت النبیّ صـلی الله علیه و آله وقرابته! کلّا إنّ هـذا التصوّر وهم باطل. إذ إنّ أرضـیة العطاء والاسـتعداد لتلقّی العنایـة واللطف الخاصّ أمر بیـد الإنسان ورهن رغبته وإرادته، فهو الذی یصـنع نفسه ویهیّئ حاله لتکون علی ذلـک المسـتوی، وهـذا بحث یطول نترکه لمقـام آخر ونکتفی بالإشـارة إلی آیـة قرآنیـة أومـأت إلی السـرّ فی العطـاء الإلهی الخاصّ والعنایـة المتمیّزة، تفتح آفاق التحقیق والبحث أمام القارئ الکریـم: وَمَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُوْلَئِکَ رَفِیقاً* ذَلِکَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَکَفَی بِاللَّهِ عَلِیماً «۱» ، فالآیتان تقرّران أنّ سـرّ الإنعام الإلـهی ومفتاح تلقی الفضل الخاصّ هو طاعـة الإنسان وعمله فی سبیل حیاة خالـدة، وذلک بامتثاله أوامر اللَّه ورسوله صـلی الله علیه و آله. إذن مردّ السـعادة والتکرّم بالفیض الإلهی یعود للإنسان نفسه ومدی سـعیه لتحقیق أرضـیة أکثر اسـتعداداً لتلقّی المزید من الفیض والعطاء الإلهی غیر المجذوذ ولا المحظور. آیة التطهیر، ص: ۱۲۵

## النکتة الخامسة: المقصود من «أهل البیت» فی آیة التطهیر

### اشارة

النکتـة الخامسـة: المقصود من «أهل البیت» فی آیة التطهیر تُری هل هو البیت العتیق (الکعبة) وجمیع المسـلمین (أهل القبلة) هم أهله، أم هو بیت رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله وأهله هم عشـیرته وعـائلته، أم هم کـلّ من یمتّ إلی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله بصـلة قرابة أو نسب ممّن لا یُستقبح اجتماعهم تحت غطاء واحد، ویصحّ تواجدهم وعیشـهم فی نفس البیت، فیشـمل هذا العنوان نساء النبیّ صلی الله علیـه و آلـه وأبنـاءه بالإضافـة إلی أمیر المـؤمنین الإمـام علیّ علیـه السـلام؟ أم أنّ «أهـل الـبیت» ینصـرف إلی المعنی العرفی المتـداول الـذی یطلق علی عیال المرء وأزواجه، فلا یعدو بذلک نساء النبیّ صـلی الله علیه و آله، أم أنّ هناک معنی آخر صـرفت إلیه هـذه العبـارة؟ هـذه أقوال ممّـا طرحه وذهب إلیه کبـار المفسِّرین، ولکنّنا نری أنّها لا تنطبق مع المعنی الواقعی لکلمـة «أهل البیت» فی الآیـة الکریمـة. إنّ کلمـة «أهل البیت» هی عنوان مشـیر وتحکی عن حادثـة وقعت. وبعبارة اخری: إنّ کلمة «البیت» تشـیر إلی بیت من بیوت نساء النبیّ صـلی الله علیه و آله، والألف واللام عهدیة، وأهل البیت هم الذین کانوا مجتمعین فی الزمان والمکان المعیّنَیْن (حین نزول الآیة وفی بیت امّ سـلمة وفقاً لتعیین الروایات)، فنزلت الآیة فی شأن ذلک الجمع تقریراً لفضـلهم آیة التطهیر، ص: ۱۲۶ ومنزلتهم وفقـاً لمفادهـا- کمـا سـبق إثباته-، فصار ذلک الجمع یُعرف ب «أهل البیت»، وعلی هـذا الفرض فإنّ «أهل البیت» إشارة إلی الخمسـة المجتمعین فی بیت امّ سلمة. وفی بدایة الأمر حین نزول الآیة لم تکن هذه العبارة تحمل إلّا معنی الإشارة، ولکن بمرور الزمن صار لها معنی علمی حتّی غدت عنواناً خاصّاً للخمسة المجتمعین فی ذلک البیت، ویمکن القول: إنّ هذا الفرض هو الأرجح والأکثر تطابقاً مع الواقع من بین جمیع الاحتمالات التی افترضها المفسِّرون، وها نحن نعرض مزیداً من التوضیح.

### المدّعی

المـدّعی تحدیـداً لنطاق البحث نقول: إنّ المـدّعی هو: أنّ «أهل البیت» هم الخمسة أصـحاب الکساء الذین کانوا مجتمعین فی بیت امّ سلمة. والحدث وإطلاق المصـطلح هو نظیر «یوم الدار» الذی یشـیر إلی الیوم الذی جمع فیه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عشیرته فی دار أبی طالب علیه السـلام «۱» لیعلن نبوّته ودعوته، وأصـبحت کلمـة «یوم الدار» عنواناً خاصّاً لتلک الواقعة وذلک الیوم، وکلمة الدار تشیر إلی دار أبی طالب علیه السلام. هکذا أصبحت عبارة «أهل البیت» تحمل وتتضمّن معنی علمیاً للخمسة الذین دخلوا تحت الکساء

فی دار امّ سلمهٔ. آیهٔ التطهیر، ص: ۱۲۷

## أدلّهٔ وإثباتات المدّعی

أدلّهٔ وإثباتات المدّعی ۱- إنّ الآیات التی ذُکر فیها لفظ «البیت» التی سبقت آیهٔ التطهیر أو لحقتها جاءت علی صیغهٔ الجمع المحلّی بنون النسوهٔ «بیوتکنّ»، وهذا ممّا یعنی أنّ «البیت» إشارهٔ إلی بیت معیّن من تلک البیوت (بیوت الزوجات) أو حجرهٔ من تلک الحجرات، وحیث إنّ المراد من «بیوتکنّ» هو بیوت زوجات النبیّ صلی الله علیه و آله فلابدّ من أن یکون «البیت» من ذلک النسیج أیضاً، وبدخول «ال» التعریف علی أحد تلک البیوت تعیّن أنّ المراد هو بیت امّ سلمهٔ، وممّا تظافرت واتّفقت علیه وشهدت به الروایات من الفریقین أنّ الآیهٔ نزلت فی ذلک المکان التاریخی. وبملاحظهٔ ما سلف بیانه وإثباته فی قضیهٔ ترتیب الآیات وانتظام النصوص القرآنیهٔ، وأنّ ذلک من الوحی وممّا أمر به النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وأمضاه، فإنّ هذا الدلیل سیحتلّ موقعه وستتجلّی حجّته. ۲- إنّ مبادرهٔ واندفاع امّ سلمهٔ رضوان اللّه علیها وحرصها الشدید علی الاستفهام من النبیّ صلی الله علیه و آله وسؤاله عن مدلول الآیهٔ فور نزولها وهل هی مشمولهٔ بها أم لا؟ والجواب السلبی التی تلقّته عن سؤالها یدلّ علی أنّها کانت تعیش وهماً، وأنّ شبههٔ اعترتها وجعلتها تستفهم، وما لذلک الوهم وتلک الشبههٔ من مدخل وعلّهٔ إلّاکونها انتزعت من عبارهٔ «أهل البیت» التی جاءت فی الآیهٔ مفهوم «الساکنین فی بیتها»، فحیث کان المراد من «أهل البیت» المجتمعین فی بیتها فقد ظنّت أنّ الخطاب شملها أیضاً. وإن قیل: إنّ منشأ سؤال امّ سلمهٔ هو انتزاعها معنی زوجات النبیّ صلی الله علیه و آله من عبارهٔ «أهل البیت» وإنّ استفهامها کان من هذا المنطلق، فإنّه مدفوع بکون احتمال شمول الآیهٔ لعموم الزوجات کان آیهٔ التطهیر، ص: ۱۲۸ منتفیاً لدی امّ سلمهٔ إذ استفهمت عن حالها فقط، ولم تفرض بأیّ وجه أن تکون بقیّهٔ الزوجات مشمولات أیضاً. ۳- إنّ آیهٔ التطهیر- وفقاً للروایات المعتبرهٔ والمشهورهٔ، وممّا تسالم علیه الجمیع- تشمل شخص النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أیضاً، وحیث إنّ معنی عبارهٔ «أهل البیت» وفقاً لجمیع الوجوه الاخری غیر قابل للانطباق علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فلا مناص من الإذعان بالمعنی القائل: إنّها تقصد المجتمعین فی ذلک البیت المعیّن «بیت امّ سلمهٔ». ۴- لقد ذکرت عبارهٔ «أهل البیت» فی موضع آخر من القرآن الکریم، وقد استُعملت فی ذلک الموضع أیضاً بمعنی المجتمعین فی أحد بیوت النبیّ إبراهیم علیه السلام، إذ کان إبراهیم علیه السلام مختلیاً بزوجته سارهٔ فی الحجرهٔ، فهبطت الملائکهٔ المرسلهٔ إلی لوط النبیّ فی مهمّهٔ ما وجعلت طریقها علی دار إبراهیم، هبطت علی إبراهیم الذی کان واقفاً فی داره بینما کانت زوجته سارهٔ جالسهٔ لتبشّرهما بحمل سارهٔ وبمولود عزیز هو إسحاق وبحفید عزیز یأتیهم من إسحاق! فتذهل سارهٔ من هذه البشارهٔ وکیفیّهٔ تحقّقها فی زوجین بلغا سن الیأس! فتجیب الملائکهٔ عن سؤال سارهٔ وعجبها قَالُوا أَتَعْجَبِینَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَهُ اللَّهِ وَبَرَکَاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ «۱» . «۲» آیهٔ التطهیر، ص: ۱۲۹ فهل یصحّ أن نصرف المقصود من «أهل البیت» فی هذه الآیهٔ إلی أهل القبلهٔ أو زوجات إبراهیم علیه السلام أو أقربائه؟ من المقطوع به أنّ الجواب منفیّ. إنّ فصول القصهٔ وتوالی أحداثها لممّا یقتضی هذا التعبیر ویفرض استعمال مثل هذا الإطلاق، فدخول الرسولین علی شکل ضیفین وامتناعهما عن الأکل، والخوف الذی انبعث فی قلوب أهل البیت وأصحاب الدار من هذا الموقف ثم انکشاف العلّهٔ فی ذلک وکونهما من الملائکهٔ جعل من هذا التعبیر أفضل اسلوب وألطف وأبلغ عبارهٔ لنقل بشارهٔ الباریٔ تعالی لإبراهیم وسارهٔ من خلال نسبته للدار والبیت الذی یأویان إلیه لاستراحتهما. ۵- هناک شواهد من الأحادیث الشریفهٔ تثبت المدّعی: أ) فی روایهٔ أحمد بن حنبل أنّ امّ سلمهٔ قالت: کان النبیّ صلی الله علیه و آله فی بیتی وکنت اصلّی فی مخدعی إذ نزلت آیهٔ التطهیر، فأدخلتُ رأسی فی البیت فقلتُ: وأنا معکم یارسول اللّه؟ «۱» ویتّضح من هذا المقطع من الروایهٔ أنّ البیت کان فیه مخدع، وأنّ امّ سلمهٔ کانت منشغلهٔ فیه بالعبادهٔ آیهٔ التطهیر، ص: ۱۳۰ حین نزول الآیهٔ، فأطلّت برأسها من المخدع وسألت انضمامها وشمولها بالعنایهٔ الإلهیهٔ. وهذا یعنی أنّ أمّ سلمهٔ انتزعت من عبارهٔ «أهل البیت» فی الآیهٔ أنّ المجتمعین تحت ذلک السقف حظوا بالمکرمهٔ، فأرادت غیضاً من فیض، فأطلّت برأسها وسألت النبیّ صلی الله علیه و آله: وأنا معکم؟ فإن لم تکن آیهٔ

التطهير تشمل كلّ من كان فی ذلک البيت، وتحت ذلک السقف ما كانت أمّ سلمهٔ لتطمع وتطمح فی أن تشملها الآيهٔ هی أيضاً. إذن كلمهٔ «البيت» فی الروايهٔ تُعدّ قرينهٔ على أنّ المراد من «أهل البيت» فی الآيهٔ هو عنوان أهل البيت المجتمعين فی دار امّ سلمهٔ والمتواجدين تحت ذلک السقف «۱». ب) جاء فی روايهٔ ابن جرير أنّ امّ سلمهٔ قالت: «وأنا جالسهٔ على باب البيت فقلت أنا: يارسول اللّه ألست من أهل البيت؟» «۲» ترى لِمَ كان سؤال امّ سلمهٔ هذا؟ هل كانت فی شکّ من كونها إحدى زوجات النبیّ صلى الله عليه و آله؟! كلّا بطبيعهٔ الحال، ولكن وجه الاستفهام فی سؤال امّ سلمهٔ يفهم من كلامها- رضى اللّه عنها- حيث قالت: وأنا جالسهٔ على باب البيت فقلت: يارسول اللّه أَلست من أهل البيت؟» تعنی الساكنين والمجتمعين فی تلک الدار وتحت سقف واحد. وعلى هذا الأساس فهمت امّ سلمهٔ- رضى اللّه عنها- من كلمهٔ «أهل البيت» هذه المجموعهٔ المتواجدهٔ تحت غطاء واحد. وبما أنّها كانت قريبهٔ آيهٔ التطهير، ص: ۱۳۱ منهم ومجاورهٔ لهم؛ لذلک استفسرت بأنّ الآيهٔ التی نزلت فی هذه المجموعهٔ تشملها أم لا.

## احتمال وجيه فی خروج امّ سلمهٔ عن مورد الآيهٔ

احتمال وجيه فی خروج امّ سلمهٔ عن مورد الآيهٔ يستفاد من الروايتين المذكورتين أنّ خروج امّ سلمهٔ- رضى اللّه عنها- عن مورد الآيهٔ لم يكن خروجاً تعبّدياً، بل التقدير الإلهی والمشيئهٔ الربّانيهٔ اقتضت أن تكون هذه المرأهٔ خارج الدار فی وقت نزول الآيهٔ المباركهٔ «آيهٔ التطهير»، وبالفعل كانت المرأهٔ فی ذلک الوقت خارج الدار أو مجاورهٔ لها، الأمر الذی دعاها أن تبذل جميع الجهود وتتوسّل بكلّ شیء لعلّها تحظى بهذا الشرف العظيم وتدخل ضمن عِداد المجتمعين تحت الكساء! ولكن لا رادّ لقضاء اللّه، حيث لم تكن امّ سلمهٔ رغم عظمتها مؤهلهٔ لحمل هذا الوسام الفاخر؛ ولذا كان الأجدر بها أن تنسحب من هذا الميدان وتتوجّه إلى الدعاء والتوسّل، والشاهد الحی لهذا الاحتمال حديث جابر بن عبداللّه الأنصاری، هذا الرجل العظيم الذی كان يحمل بعض أسرار القرآن والعترهٔ، الذی يقول: «نزلت هذه الآيهٔ على النبیّ صلى الله عليه و آله وليس فی البيت إلّافاطمهٔ والحسن والحسين وعلیّ عليهم السلام: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فقال النبیّ صلى الله عليه و آله: اللّهم هؤلاء أهلی» «۱». على هذا، فإنّ زوجهٔ النبیّ الفاضلهٔ ليست من «أهل البيت» عليهم السلام آيهٔ التطهير، ص: ۱۳۲ «والعاقل تكفيه الإشارهٔ»، إذ لم تكن فی الدار التی نزلت فيها الآيهٔ، كما ظهرت فی هذه الروايهٔ أيضاً لفظهٔ «البيت» كقرينهٔ على أنّ المراد من أهل البيت هو بيت امّ سلمهٔ.

## تسميهٔ جديدهٔ

تسميهٔ جديدهٔ لقد كان مفاد عبارهٔ «أهل البيت» عند نزول الآيهٔ هو: «النازلون دار امّ سلمهٔ، المجتمعون فی بيتها»، ولكن بمرور الزمان وتقادم الأيّام أخذت هذه العبارهٔ لنفسها عنواناً تاريخياً. فالحادثهٔ فی يومها الأوّل وقعت- باتفاق جميع العلماء المحقّقين من السنّهٔ والشيعهٔ- عندما اجتمع أربعهٔ أشخاص بدعوهٔ من النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله فی دار زوجته الفاضلهٔ، ولم تكن لائحهٔ المدعوّين تتجاوز الأسماء المباركهٔ، ل «علیّ وفاطمهٔ والحسن والحسين عليهم السلام»، ولم يكن من سبيل لتحديدهم وتعريفهم إلّاإطلاق هذه الأسماء النورانيهٔ عليهم، ولكن مع نزول الآيهٔ الشريفهٔ بأمر الباریٔ عزّوجلّ وإرادته فقد خلع على هذه الثلّهٔ المباركهٔ أعظم فضيلهٔ ومنقبهٔ، وصارت الألسن تتناقل تسميتهم الجديدهٔ «أهل البيت» عليهم السلام شيئاً فشيئاً حتّى تعيّن كعنوان أساسی لهم. إنّ عبارهٔ «أهل البيت» التی انبثقت كمعنى تاريخی من حادثهٔ معيّنهٔ، تحوّلت بمرور الزمان إلى عنوان ولافتهٔ مفعمهٔ بالفخر والفضيلهٔ، وأصبحت متعيّنهٔ فی النبیّ وصهره وأبنائه، ومن مختصّات ألقابهم صلوات اللّه عليهم أجمعين. وما هذا وذاک إلّالأهمّيهٔ الموقف والعظمهٔ التی سجّلتها آيهٔ التطهير! آيهٔ التطهير، ص: ۱۳۳ إنّ العبارهٔ بحدّ ذاتها وبصرف النظر عن مدلولها المقترن بالمناسبهٔ، لا تحمل أيّهٔ فضيلهٔ ولا تعنی أیّ تفوّق وكمال ممّا تحمله كلمات من قبيل «عالم، عادل، شجاع»، ولكن مفاد آيهٔ التطهير المتدفّقهٔ نوراً وفضيلهٔ هو الذی خلع الفخر والعظمهٔ على مصطلح «أهل البيت» وبلغ به قمّهٔ تحكی معنى أكثر رقياً وسموّاً حتّى من تلک القمّهٔ! وهذا هو السرّ فی تحوّل الكلمهٔ إلى

عَلَم لهـذه الثلّة المبارکـة. إذن، مع مرور الزمن، بـدأت تحفّ بهـذه العبارة حیثیـة أخری، وصارت لها موضوعیة مسـتمدّة من موضوع إثبات الفضـیلة التی نطقت بها آیة التطهیر، وصار «أهل البیت» اللقب الخاص لصفوة اللّه وخاصّته. ولم تجر کلمة أهل البیت علی لسان النبیّ صـلی الله علیه و آله کعنوان لأسـرته قبل نزول آیة التطهیر فی نطاق ما تحرّیناه، ولکن بعد نزولها فقد تکرّر إطلاقه صلی الله علیه و آله هذا اللقب «أهل البیت» عند إرادته ذکر علیّ وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام، وکأنّه صلی الله علیه و آله کان من البهجة والسرور بنزول آیـة التطهیر بحیث کان یتحیّن الفرص لیسـتعید ذکراها ویجدّد العهد بها، فیکرّر ذکر عبارة «أهل البیت»! أو کأنّه یرید إخراج هـذا المسـمّی وما یعنیه من فضـیلة وفخر لأعزائه الأربعـة من خلال تکرار النداء والتصـریح بهذا اللقب السامی والوسام الربّانی، اللقب الـذی یعادل الـدنیا وما فیها، ومن خلال تردیـد الآیة التی تضع عترته صـلی الله علیه و آله فی قمّة الهرم الإنسانی، حیث نشاهده صلی الله علیه و آله و سلم ومن حین نزول الآیة ولمدّة ستّة أشهر أو أکثر، وحینما کان یخرج لأداء صلاة الصبح یجعل طریقه علی دار آیة التطهیر، ص: ۱۳۴ فاطمة علیها السـلام وینادی بذلک النداء العظیم: «الصـلاة یا أهل البیت» «۱». نعم، إنّ الادّعـاء بأنَّ تقادم الزمن وحرکة التاریخ لم یضـفیا علی أحد- ومن خلال آیة التطهیر- أیَّ فضـیلة ولم یلبسا حُلّة الفخر والعزّ لأحدٍ مهما کان، ولم یظهرا له أیّ امتیاز. نعم إنّ مثل هذا الادّعاء الواهی والتفکیر المتشـتّت والمبعثر بعید عن روح الفضیلة وطلب الحقیقة، إضافة إلی أنّه بعید عن منهج العلمـاء ومنطق المحقّقین، بـل الواقع أنّ مرور الزمن وتعـاقب الأیّام أزالاـ السـتار عن الفضـیلة التی اریـد لها أن تُحجب، وأبرزاها علی أحسن صورها وأجمل حالاتها. کما أظهر کلمـة «أهل البیت» کعنوان ذهبی یزیّن صـفحة التاریـخ البشـری. لقد کان الرسول صـلی الله علیه و آله ومن خلاـل تردیـده للآیـة المبارکـة یهـدف إلی تحقیق عـدّة أغراض: الأوّل: لکی لا یطمس هـذا العنوان الـذهبی والوسام الإلهی. الثانی: صیانة لهذا العنوان من سطو الطامعین ولصوص السیاسة الذین یحاولون أن یتبرقعوا ویتزیّنوا بهذا الوسام العظیم والشرف الرفیع والـذی لم یکونوا أهلًا له. آیة التطهیر، ص: ۱۳۵ الثالث: ولیعلم الجاهلون بالحقائق القرآنیة مَنْ هم أصـحاب هذا العنوان الرفیع. الرابع: ولیعلم العالم بأسـره مَنْ هم أولئک القوم الذین نزلت فی حقّهم آیة التطهیر ورفعتهم فوق ذری المجد والفضیلة، ونزّهتهم وإلی الأبد عن کلّ دنس وجهل وشکّ؟ ولیعلم الجمیع مَنْ هم قادة الإسـلام الحقیقیّون، وأیّ منزلة من منازل الفضیلة یرتقون؟ ولیعلم أمثال عکرمـة أنّ النظریات التی تفرزها نار العصبیـة والحقد والحسد لا تسـتطیع أن تحرف مسـیر الإنسانیة الواعیة والقلوب المؤمنة عن جادّة الحقّ والحقیقـة. ولیعلم بعض المفسِّرین الـذین ابتلوا بـداء العصبیـة، أنّ القرآن الکریم لاـ یخضع وبأیّ شـکل من الأشـکال لمثل تلک الأفکـار والنظریـات المنحرفـة، وأنّ هـذا الکتاب المقـدّس حصـر طریق الوصول إلی الفضـیلة به لا بسواه، وأنّ تعالیمه الإلهیـة وقوانینه العالیـة لا تنسـجم مع الأفکار المنبعثـة عن الهوی، والناجمـة عن القناعات الشخصـیة والآراء الفردیة. وأخیراً لکی یتسلّح طالبو الحقیقة بالبرهان الساطع والدلیل النیّر المستند إلی کلام سیّد المرسلین صلی الله علیه و آله.

## ثمرة التحقیق

ثمرة التحقیق: إنّ هذا الأسلوب المبتکر فی تحقیق کلمة «أهل البیت» جدیرٌ أن یصون البحث ویخرجه من حالة القال والقیل، وإنّ أخذ هـذا الأسـلوب بنظر الاعتبـار واعتمـاد نتـائجه یؤدّی إلی أن یصـبح البحث والجـدل فی مفهوم «أهـل الـبیت» لغواً لاـ فائـدة فیه، وأن لا موضوع حینئذٍ للبحث عن سعة وضیق هذا المفهوم، من قبیل: ماذا تعنی کلمة الأهل؟ ومَنْ هم آیة التطهیر، ص: ۱۳۶ أهل البیت؟ وهل الآیة تشمل نساء النبیّ أم لا؟ وکذلک التعصّب الفکری لحصر هذا المفهوم بنساء النبیّ صلی الله علیه و آله. کلّ ذلک لا یتعدّی- بعد هـذا التحقیق- عن کونه ادّعاءً فارغاً وأمراً عاریاً عن الحقّ والحقیقة. وإذا کان هناک بحث فی کلمة «أهل البیت» فیمکن أن یدّعی أنّ مصـطلح «أهـل البیت» قرینـة ل «أهـل بیت النبوّة» ممّـا یجعل دخول النساء فی نطاقه أمراً له وجه ما؛ لأنّ التـداول العرفی للعبارة یشـمل النسـاء أیضاً، ولکن التحقیق الـدقیق حـدّد کون «أهل البیت» فی آیـة التطهیر عنواناً مشـیراً یقصـد الخمسـة المتمیّزة المجتمعـة فی أحد بیوت النبیّ صـلی الله علیه و آله فی دار امّ سـلمة، تماماً کما هی عبارة «أصـحاب الکساء» فی کونها عنواناً مشـیراً إلی العظماء الخمسة

علیهم السلام. إذن فکما أنّ أحداً من العلماء والمحقّقین، وأیّاً من أهل الحلّ والعقد لم یبحث فی مفهوم کلمة «الکساء»، وتسالموا علی أنّ «أصحاب الکساء» عنوان یشیر إلی المجتمعین تحت ذلک الغطاء، کذلک لا ینبغی البحث فی مفهوم کلمة «أهل البیت»، إذ لا أهمّیة للکلمة بنفسها، ولم تکن معنیّة فی ذاتها، إذ لم یکن مفهوم «أهل البیت» هو موضوع آیة التطهیر، ولم یکن هذا المفهوم هو الذی نزلت الآیة بعصمته وطهارته، حتّی نبحث- بعد ذلک- فی شمولها لزوجات النبیّ من عدمه؟ فهذه العبارة لم تکن إلّاإشارة إلی الأشخاص الخمسة، وحتّی امّ سلمة التی کانت شاهداً نزیهاً علی الحدث بقیت مستثناة وخارجة عن کساء القدس الذی شمل تلک النخبة والصفوة. ولعلّ الأمر یقتضی مزیداً من التوضیح. آیة التطهیر، ص: ۱۳۷

## مزید من التوضیح

مزید من التوضیح إنّ الأحکام والتبعات التی تُحمل علی موضوع ما، تُحمَل تارةً بصورة قضیّة حقیقیّة واخری علی نحو القضیّة الخارجیّة، کما یصطلح فی لغة أهل الفنّ والاختصاص. ففی القضایا الخارجیة قد یحدّد موضوع القضیة الأشخاص المعینین فی الخارج صراحة، وقد یشیر إلیهم إشارة خاصّة تحت عنوان ما یرمز إلیهم ویدلّ علیهم ولا یمکن أن یضمّ غیرهم. علی سبیل المثال قد یأخذ شکل القضیة الصورة التالیة: «یجب احترام العالم» هذه قضیة حقیقیة، هنا یجب البحث فی مفهوم العالم، وعلی قدر ما یسع هذا المفهوم من مصادیق فیجب احترامهم، أی کلّ من یکون عالماً فیجب احترامه. وقد یأخذ شکل القضیة صورة اخری وتکون علی هذا النحو: «احترم زیداً وعمرواً» هذه قضیة خارجیة، ومن یجب احترامه فی هذه القضیة هما زید وعمرو، اللذان هما اسما عَلَم لشخصین معیّنین، وقد یقال فی نفس هذه القضیة الخارجیة: «احترم الشخصین ذوی الجبّة الخضراء»، والقضیة هنا جعلت «الجبّة الخضراء» عنواناً یشیر إلی زید وعمرو، ومن ینبغی احترامه فی هذه القضیة هما زید وعمرو فقط، ولا یصحّ بحال أن تکون «الجبّة الخضراء» محور البحث فی هذه القضیة! بحیث یُبحث فی مفهوم «الجبّة» و «الخضراء» وفی إضافة الجبّة إلی الخضراء، ثم یتمّ- فی ضوء ذلک- استنتاج أیّ الناس یجب احترامهم؟! إذن البحث فی القضایا الحقیقیة یتناول المفهوم ویتعرّض لطبیعة موضوع الحکم، ولکن فی القضایا الخارجیة- سواء فی حالة التصریح آیة التطهیر، ص: ۱۳۸ بتعیین الموضوع أو حالة الإشارة له- لا- ینبغی البحث فی مفهوم ما وقع موضوعاً للقضیة، فیُبحث- وفق المثال- عمّن یجب احترامه، إذ من المسلّم أنّ الاحترام یجب أن لا یکون إلّالزید وعمرو، ولا یتجاوز الحکم عن موضوعه بأیّ نحو من الأنحاء. إنّ آیة التطهیر التی جعلت «أهل البیت» علیهم السلام مورد اهتمامها وطهّرتهم من الرجس والذنب طهارة أزلیة- من قبیل المثال الثالث لقد انصب اهتمام الآیة علی عنوان «أهل البیت» علیهم السلام ولکن باعتباره عنواناً مشیراً إلی المجتمعین فی دار امّ سلمة- رضی اللّه عنها- وکنایة عن النبیّ صلی الله علیه و آله وعلی وفاطمة والحسنین علیهم السلام. کما أنّ الجبّة الخضراء فی المثال عنوان مشیر لزید وعمرو. وإذا کان الاحترام فی المثال الثالث منحصراً بزید وعمرو، وغیرهم خارج عن هذا الحکم، کذلک فی آیة التطهیر، فإنّ العنایة الإلهیة لا تشمل غیر هؤلاء الخمسة، وغیرهم خارج عن حکم الآیة. وعلی هذا فلا شکّ ولا- تردید ولا یبحث فی أنّ أهل البیت مَن هم؟ وما هی سعة وضیق هذا المفهوم؟ وأنّ التطهیر یشمل أیّ الأفراد؟ نعم، کما أشرنا سابقاً أنّ الکلمة فی حین نزول الآیة کانت عنواناً مشیراً، ولکن بمرور الأیّام اصطبغت بصبغة التعیّن وأصبحت لقباً واسماً مشخّصاً لهؤلاء الخمسة علیهم السلام، بحیث کلّما ذکرت هذه الکلمة یتبادر إلی الذهن أصفیاء اللّه تعالی وهم الرسول الأکرم وعلی وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام. کما أنّ مصطلح «خاصِف النعل» والذی استعمله الرسول صلی الله علیه و آله فی بادئ الأمر کعنوان مشیر إلی أمیر المؤمنین علیه السلام، وبعد ذلک تحوّل إلی لقب خاصّ لأمیر المؤمنین علیه السلام. آیة التطهیر، ص: ۱۳۹ بعد هذا التحلیل والتحقیق المبتکر من نوعه نستطیع القول: إنّا سحبنا البساط من تحت أقدام المتعصّبین والجهّال واللاابالیین بحیث أصبحت أیدیهم جذّاء وحجّتهم باطلة ودعواهم عاریة عن الدلیل. وبعد ذلک لا حاجة إلی الادّعاء العاری عن الدلیل والقول بأنّ أهل البیت اصطلاح قرآنی خاصّ بالخمسة من «أهل البیت» علیهم السلام «۱» . لأنّنا أثبتنا سابقاً أنّه لم یستعمل فی هذه الکلمة أیّ اصطلاح. وما

ورد فیها لا یخرج عن کونه عنواناً مشیراً إلی هـذه الثلّة المختارة المجتمعـة فی بیت أمّ سـلمة. والشاهـد علی أنّ کلمة «أهل البیت» لم تستعمل فی القرآن کاصطلاح خاصّ بالخمسة من «أهل البیت» علیهم السلام هو ورود هذه الکلمة فی قصّة إبراهیم علیه السلام وزوجته «۲»، ولو کانت هذه الکلمة خاصّة بأهل البیت وأنّها استعملت بحقّهم کمصطلح، فلا معنی لاستعمالها فی القرآن الکریم فی حقّ أفراد آخرین غیرهم.

## تساؤل

تساؤل: إذا کانت کلمة «أهل البیت» خاصّة بهؤلاء الخمسة فقط فحینئذٍ یطرح السؤال التالی: ألم یکن سائر الأئمّة الأطهار علیهم السلام من أهل البیت، وأنّ آیة التطهیر تشملهم بالعنایة والفضیلة؟ إنّ الإجابة عن هذا التساؤل تظهر بین مطاوی کلمات أئمّة أهل البیت علیهم السلام: فما نُقِلَ عن النبیّ صلی الله علیه و آله عن طریق أبی سعید الخدری حیث قال صلی الله علیه و آله: آیة التطهیر، ص: ۱۴۰ «نزلت هذه الآیة فیّ وفی علیّ وحسن وحسین وفاطمة» «۱» . أو ما ورد عنه صلی الله علیه و آله بعد نزول الآیة: «اللّهم هؤلاء أهل بیتی وحامتی، فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً» «۲» . وهذان النوعان من التعبیر- المنقولان عن النبیّ صلی الله علیه و آله- یوحیان أن عنوان «أهل البیت» فی الآیة الشریفة یشیر إلی الخمسة أصحاب الکساء علی نحو الحصر، وقد ذهب الإمام الصادق علیه السلام إلی هذا الرأی (اختصاص الآیة بهؤلاء الخمسة) معقّباً أنّ ربط بقیّة الأئمّة الأطهار علیهم السلام بآیة التطهیر وشمولهم بمدلولها وما تخلعه علی مخاطبیها من العصمة والطهر یتمّ من خلال دخولهم علیهم السلام فی قوله تعالی: وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَی بِبَعْضٍ فِی کِتَابِ اللَّهِ «۳» . إنّ نطاق آیة التطهیر- بناءً علی قول الصادق علیه السلام- لا یتجاوز الخمسة الذین نزلت فی شأنهم، وإذا کانت عبارة «أهل البیت» مطلقة- باصطلاح أهل الفنّ- بحیث تشمل جمیع الأئمّة علیهم السلام فما کان الإمام الصادق علیه السلام لیستدلّ بآیة اولوا الأرحام.. ویلجأ إلی الربط بین الآیتین لیخلص إلی نتیجة عصمة جمیع الأئمّة وطهارتهم، والقول: «نحن تأویل آیة التطهیر» «۴» إذن ف «أهل البیت» هم أولئک النفر آیة التطهیر، ص: ۱۴۱ المجتمع تحت الکساء لا غیر، وإنّما یدخل بقیّة الأئمّة علیهم السلام فی مؤدی الآیة عن طریق تأویلها. وبعبارة أوضح: إنّ آیة التطهیر تشمل جمیع الأئمّة الأطهار علیهم السلام، ولکن لیس بواسطة لفظة «أهل البیت» الواردة فی الآیة، بل للشرح الذی قدّمته الآیة الثانیة لآیة التطهیر، هکذا قضی اللَّه أن یکون للتأویل شأن واعتبار التنزیل، ویکون لمن اوّلت الآیة بهم شأن ومنزلة من نزلت فیهم.

## وجه احتجاج بقیّة الأئمّة علیهم السلام بالآیة

وجه احتجاج بقیّة الأئمّة علیهم السلام بالآیة إذا صحّ أنّ آیة التطهیر لم تنزل فی جمیع الأئمّة علیهم السلام، فلماذا کانوا یستدلّون بها فی مواقع المخاصمة والاحتجاج علی إمامتهم وعصمتهم وأولویة تقدیمهم علی غیرهم؟

## الجواب

الجواب: المواقع المشار إلیها جاءت فی صنفین من الروایات: الأوّل: ما استدلّ به أمیر المؤمنین أو الإمام الحسن أو الحسین علیهم السلام إثباتاً لأحقّیتهم وتقدّمهم علی غیرهم وفق مدلول آیة التطهیر، وهذه آیة التطهیر، ص: ۱۴۲ الطائفة من الروایات لا تتعارض مع ما قرّرناه آنفاً، إذ إنّهم علیهم السلام ممّن شملتهم الآیة تنزیلًا لا تأویلًا. الثانی: ما قاله بقیّة الأئمّة علیهم السلام فی مقام الاستدلال والاحتجاج بالآیة الشریفة، وفی هذه الطائفة نلحظ هاتین الروایتین: ۱- عن علی بن الحسین علیهما السلام، حدیث طویل یقول فیه لبعض الشامیین: فهل تجد لنا فی سورة الأحزاب حقّاً خاصّاً دون المسلمین؟ فقال: لا، قال علی بن الحسین علیه السلام: أما قرأت هذه الآیة إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً «۱» . ۲- روایة الحلبی عن الإمام الصادق علیه السلام، حیث

قال فی تفسیر الآیة: «یعنی الأئمّة علیهم السلام وولایتهم، من دخل فیها دخل فی بیت النبیّ صلی الله علیه و آله» «۲». إنّ آیة التطهیر قد أَولت الأئمّـة علیهم السـلام عنایـة خاصّـة وجعلتهم ولاـة للنـاس کافّـة، وکـلّ من دخـل تحت لـوائهم یکـون من خـواصّ بیت النبـوّة. والمتلخّص من کلاـم الإمـام الصـادق علیه السـلام هو أنّ التبعیـة والاقتـداء بهـدی «أهـل البیت» علیهم السـلام یورثا الوحـدة والاتحاد والانصهار کما جاء فی القرآن الکریم فی قوله سبحانه: فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی... «۳» وما ورد عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله فی حقّ سـلمان رضی الله عنه: «سلمان منّا أهل البیت» «۴» آیة التطهیر، ص: ۱۴۳ علماً أنّ سـلمان لم یکن من أهل البیت حقیقة. فعلی هذا یکون الاقتداء وقبول ولایة «أهل البیت» علیهم السلام بمثابة المصنع الذی یصهر الجمیع فی بوتقة واحدة. ولکنّ الروایتین المذکورتین لیسـا فی مقـام بیـان أنّ عنوان «أهـل البیت» شامـل لجمیع الأئمّـة علیهم السـلام، وإنّما هما فی مقام بیان أنّ (آیـة التطهیر) تثبت الولایة والتقـدّم لبـاقی الأئمّـة علیهم السـلام أیضـاً. ویمکن إثبـات ذلـک والبرهنـة علیه- کما جاء فی روایـة ابن کثیر عن الإمام الصادق علیه السـلام- من خلال الاسـتناد إلی آیـة أُوْلُوا الأَرْحَامِ، بل یمکن الجمع من خلال هـذا الطریق أیضاً بین هـذه الروایات الموسّـعة وبین ما ورد عن الرسول الأکرم صـلی الله علیه و آله من الروایات الحاصـرة لعنوان «أهل البیت» فی الأفراد الخمسة علیهم السـلام فقط. ویکون هـذا الجمع عقلائیـاً وقابلًا للتصـدیق. وإذا أردنا أن نعتمـد الأسـلوب الصـناعی (الفنی) نقول: إنّ الروایـة التی رواها ابن کثیر عن الإمام الصادق علیه السلام تعتبر شاهد جمع بین طائفتین من الروایات التی یظهر لأوّل وهلة أنّها متعارضة، الطائفة الاولی الروایات الدالّة علی الانحصار بالخمسـة، والروایات الموسّـعة، ویمکن القول- کما هو مفاد حدیث ابن کثیر- بأنّه من خلال نسـبة التأویل إلی التنزیل ومن خلال هـذه النسـبة والإضافة یدخل سائر الأئمّة تحت عنوان «أهل البیت» الوارد فی الآیة. وعلی هذا الأساس: فإنّه ومن خلال النظر إلی ما ورد عن الرسول صـلی الله علیه و آله من حصـر عنوان «أهل البیت» بالخمسـة علیهم السـلام، ومن ملاحظـة ما ورد عن الأئمّة علیهم السـلام من أنّ الآیـة نزلت بحقّ المجتمعین فی بیت امّ سـلمة- رضـی اللَّه عنهـا-، هـذا من جهـة، ومن جهـة اخری الروایـات الـتی آیة التطهیر، ص: ۱۴۴ وردت عنهم علیهم السـلام والتی اعتمـدوا فیهـا علی «آیـة التطهیر» لإثبات الولایـة لهم علیهم السـلام وتأویلهم لآیة أُوْلُوا الأَرْحَامِ من جهة اخری، من خلال ذلک کلّه لابدّ من الإذعان بأنّ عنوان «أهل البیت» مثل عنوان «آل العباء» و «أصحاب الکساء» عنوان منحصر، ولکنّ الآیة لم تهمل سائر الأئمّة علیهم السلام، وإنّما شملتهم بالعنایة والقداسة والطهارة. ولو قلنا: إنّ کلمة «أهل البیت» هذا العنوان الذی ظلّ طول التاریخ مشیراً إلی المجتمعین فی دار امّ سلمة- رضی اللَّه عنها- أنّه یشمل سائر الأئمّة علیهم السلام اعتماداً علی مـا روی عنهم، وتأویـل الآیـة لم یکن ادّعاؤنـا جُزافـاً وبـدون دلیـل، بـل هناک روایات تـدعم ما نـدّعیه، حیث نری أنّ الرواة من أصـحاب الأئمّـة علیهم السـلام کـانوا یخاطبونهم علیهم السـلام بهـذا العنوان «أهل البیت». بل یمکن القول: إنّه ینبغی النظر إلی عنوان «أهل البیت» من بُعدین: الأوّل: مناسـبة وشأن نزول الآیة، ومن هذا البعد فإنّ أهل البیت هم أصحاب الکساء علیهم السلام فقط. الثانی: النظر إلی الآیة بلحاظ الحکم الذی تثبته، أی الطهارة والقداسة وإذهاب الرجس، ولما کان سائر أئمّة الهدی علیهم السلام متساوین مع الخمسـة أصـحاب الکسـاء فی مفـاد آیـة التطهیر، فـإنّ العنوان منطبق علیهم ویجب القول إنّهم من أهل البیت أیضاً. وبعبارة اخری: إنّ عنوان «أهل البیت» لا یحمل فی حدّ ذاته أیّ اعتبار خاصّ أو قیمة متمیّزة لآل الرسول علیهم السلام، بل القیمة والاعتبار هی للکمالات والصفات التی خلعتها آیة التطهیر علی من نزلت فی آیة التطهیر، ص: ۱۴۵ شأنهم، ومن شملتهم- کما ثبت فی محلّه- من أئمّة الهدی علیهم السـلام، ولمّا کانت کلمة «أهل البیت» عنواناً للتفوّق والکمال، و اسـماً حاکیاً عن الطهر والقداسة والفضـیلة، فإنّ کلّ من یتحلّی ویتّصـل بهـذا العـالم فـإنّه ینسب إلی أهل البیت، ولعلّ هـذا هو الوجه فی قول النبیّ صـلی الله علیه و آله- المتقـدّم-: «سـلمان منّا أهل البیت» «۱» ، مع أنّ البون بین سلمان والمقام الأرفع للإمام الصادق علیه السلام شاسع جدّاً.

## جولة فی النصوص

جولـة فی النصوص قلنـا: إنّ عبارة «أهل البیت» إنّما عُرفت بعـد نزول آیـة التطهیر، وأنّه لم یجر تـداولها واسـتعمالها فی أحادیث النبیّ

صلی الله علیه و آله وأمیر المؤمنین علیه السلام قبل ذلک- علی قدر ما توصّلنا إلیه من البحث والاستقصاء-. نعم، کانت عبارة «أهل بیتی» کثیراً ما تتکرّر علی لسان النبیّ صلی الله علیه و آله، ولکن تعبیر «أهل البیت» لم یجر علی لسان النبیّ صلی الله علیه و آله إلّافی أواخر عمره الشریف- ووفقاً لاستنباطنا السابق فإنّ نزول الآیة کان فی أواخر حیاة النبیّ صلی الله علیه و آله- وهذا ممّا یدلّ علی أنّ هذا التعبیر العظیم شاع بعد نزول الآیة، حیث سری شیئاً فشیئاً حتّی صار فی إطلاقات واستعمالات بقیّة أئمّة الهدی علیهم السلام. استعمل أمیر المؤمنین علیه السلام عبارة «أهل البیت» وفقاً لما جاء فی «نهج البلاغة» فی أربعة مواضع: ۱- فی الخطبة الثالثة والتسعین، فی معرض بیانه لفتنة تولّی بنی آیة التطهیر، ص: ۱۴۶ امیّة زعامتهم المشؤومة، قال من جملة ما قال: «نحن أهل البیت منها بمنجاةٍ، ولسنا فیها بدُعاة». ۲- فی الخطبة المائة والعشرین: «وعندنا أهل البیت أبواب الحکم وضیاء الأمر». ۳- فی الخطبة الرابعة والعشرین بعد المائتین: «أصِلة أم زکاة أم صدقة، فذلک محرّم علینا أهل البیت». ۴- وفی الحکمة الثانیة عشرة بعد المائة یقول علیه السلام: «من أحبّنا أهل البیت فلیستعد للفقر جلباباً». وخطب الحسن السبط علیه السلام عندما ولی الخلافة، وکان من جملة کلامه: «وأنّا من أهل البیت الذین أذهب اللَّه عنهم الرجس...» «۱» ، وفی خطبة للحسین علیه السلام فی مکّة، قال: «رضا اللَّه رضانا أهلَ البیت» «۲» . آیة التطهیر، ص: ۱۴۷

## نظرة فی عطاء آیة التطهیر

### اشارة

نظرة فی عطاء آیة التطهیر إلی هنا جری البحث مُسهباً وفق متطلّبات التحقیق فی آیة التطهیر کلمة بکلمة، وما تناولناه من نکات تاریخیة دقیقة، وهکذا المسیرة التی طواها عنوان «أهل البیت» علی مدی تاریخ الإسلام، وکانت الخلاصة الموجزة: إنّ الآیة تختصّ بأهل البیت علیهم السلام، وأهل البیت هم أصحاب الکساء، بمعنی أنّ شأن نزول الآیة هم النبیّ الأکرم وأمیر المؤمنین وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام، وأنّ بقیّة الأئمّة الأطهار مشمولون بخصائص هذه الآیة عن طریق آخر. وإنّ الإرادة التکوینیة للباری عزّوجلّ قضت أن یکون هناک فاصل أبدی بین الأرجاس وأهل بیت النبوّة علیهم السلام. وإنّ هذا اللطف والتوفیق الإلهی الکبیر جاء استجابة لطاعتهم وإخلاصهم واستحقاقهم. ویبلغ البحث هنا موقع دراسة مفاد مجموع الآیة لنحدّد عطاءها لأهل البیت وسائر أئمّة الهدی علیهم السلام، الذین هم بالنتیجة من أهل البیت علیهم السلام، ماذا ترید الآیة أن تهبهم وتخلع علیهم؟ إنّ الإرادة الأزلیة للباریٔ تعالی التی قضت الفصل بین الأئمّة الأطهار وجمیع الذنوب والأرجاس، وحکمت لهم بالمزید من الطهارة آیة التطهیر، ص: ۱۴۸ والنزاهة، جعلت ذلک للنبیّ الأعظم وابنته العزیزة والأئمّة الإثنی عشر- صلوات اللَّه علیهم أجمعین- دون سائر الخلق، ولمّا کان المراد لایتخلّف عن الإرادة الإلهیة فهو متحقّق لا محالة، فمن المؤکّد أنّک ستجد هذه الصفوة الطاهرة تتمتّع بروح عالیة ونفس منیعة وصدر رحب یتّسع للهموم والمشکلات، وقلب متّقد وضّاء مفعم بالعلم، خال من موانع وحواجز إدراک الحقائق وفهم القرآن. إنّهم بعیدو المدی، مطّلعون علی خفایا الحوادث، واقفون علی أسرار الدین ورموز القرآن وإشاراته، لا یقربون الفواحش ولا یدنون الأرجاس من حقد وبخل وحسد وجهل وشکّ وخرافة، لا یعتریهم شک ولا یأخذهم ضعف ولا وهن، إذ یتمتّعون بروح عالیة وعظمة تنأی بهم عن القبائح والذنوب، بل تأبی مجرّد توهّم ذلک وقصده! إنّها قلوب طاهرة مطمئنّة لا تخفق إلّابحبّ اللَّه ولا یخترق سماءها ذرّة من الهوی وحبّ الشهوات، إنّ الأئمّة علیهم السلام یمثّلون القمّة فی التسلیم للَّه والغایة فی الإخلاص له، وفی رحاب النبیّ والأئمّة علیهم السلام لا تجد للحقد والبخل والحسد محلّاً، بل ما هی إلّاالرحمة والرأفة بالناس، وکرم وعطاء لا یقف عند حدود، یهب البشریة الخیر وهو یرسم لها طریق السعادة، ویحدّد لها ما یُنجیها، ویحقّق لها الخلاص بما عرفوه ووقفوا علیه من علوم القرآن وأسراره، وما استلهموه من مدرسة الوحی والتنزیل، فهم المعدّون لهدایة الناس وإرشادهم وتوجیههم وقیادتهم لسعادة الدارین. إنّ الرسول الأکرم وآله الأطهار

علیهم السلام یمتلکون روحیات تحلّق فوق القداسة والطهر، وهکذا عیّنات ونماذج طاهرة مطهّرة هی التی یمکنها أن تأخذ بید المجتمع وتقوده نحو الطهارة والسعادة. إنّهم من الطهارة آیة التطهیر، ص: ۱۴۹ بمکان لا ـ یدنوه ذنب ولا ـ یقربه رجس، فلا تعلق بأذیالهم ذرّة غبار من معصیة، ولا تؤثر علی أرواحهم النزیهة، ولا شکّ فی أنّ أمثال هؤلاء الرجال یسیرون بالامّة إلی الطهارة الفکریة والعملیة. إنّها مشیئة الربّ وإرادته جلّ وعلا، التی قضت أن لا یعتلی عرش الفضیلة إلّا «أهل البیت» علیهم السلام، ولا یتربّع علی قمّة المجد والطهارة غیرهم، فیتمتّعون بالقلوب السلیمة، التی تولّی اللَّه ریاضتها والأنفس العالیة التی تنعکس فیها الحقائق الربانیة، ولا یعتریها شکّ ولا یؤثر فیها حدث مهما کبر وعظم. إنّهم العالمون بجمیع شرائع وأحکام الدین، الواقفون علی رموز التکوین، والمکنون من أسرار القرآن العظیم، لا ـ لبس فی حیاتهم ولا ـ إبهام ولا جهل، ولم یفسحوا الطریق لأدنی شکّ أو ریبة لتحول بینهم وبین دوام إخلاصهم وتوجّههم لباریهم الحیّ القیّوم. وهؤلاء هم «أهل البیت» علیهم السلام فقط، الذین شاء اللَّه أن یفصل بینهم وبین الذنوب والمعاصی والرذائل و وساوس الشیطان بمساحة شاسعة لا تقطعها ملایین الفراسخ، وهذا الفاصل هو الذی أمّن حصانتهم وحصّل لهم العصمة من الخطأ والزلل، فهم لا یزلّون کیلا یزلّ المجتمع، ولا یتزلزلون أمام الدنیا وزخرفها کیلا تتزلزل أمّة بکاملها. هذا هو مفاد آیة التطهیر الکریمة، الذی جاءت به إرادة الحصر، وإطلاق کلمة «الرجس»، ومعنی تعلّق إرادة الحقّ تعالی بإذهاب الرجس عنهم، وتأکید الطهارة، علی صورة جملة وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً. من هنا یتّضح السرّ وتظهر الحکمة الإلهیة جلیّة فی هذه الإفاضات الخاصّة، التی جعلت هذه الثلّة المبارکة تسبح فوق قمم الفضیلة آیة التطهیر، ص: ۱۵۰ والطهارة، وما هی إلّاخطّة وضعت لتحقیق نتائج غایة فی الأهمّیة جعلت أهل البیت یبدون علی هذا القدر من الجمال والکمال، إنّها مسألة زعامة المسلمین وقضیة قیادة الامّة الإسلامیة. فما خلعه الباریء عزّوجلّ علی «أهل البیت» علیهم السلام من الطهارة والعصمة، وما سلّحهم به من سعة الصدر وسلامة النفس وعظمة الروح، وزوّدهم به من علم بالواقع وبصیرة ثاقبة سیعود بالنفع علی الامّة أوّلًا وآخراً، وهو من أتمّ مظاهر لطف اللَّه بهذه الأمّة المرحومة، إذ منَّ اللَّه بهم علینا فجعلهم فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَیُذْکَرَ فِیهَا اسمُه «۱» ، فیغترف المسلمون من معین علومهم الزلال، وینهلون من فیض عدالتهم وکرمهم وطهارتهم، فیسری شعاعهم ویعمّ الأمّة فترقی فی طریق الطهارة والتقی، وتسلک درب السعادة الأبدیة وتحقّق لنفسها النجاة فی الدارین. فتربیة «أهل البیت» علیهم السلام تربیة للأمّة وعطاء اللَّه سبحانه وتعالی الذی اختصّهم به هو عطاء سیشمل الأمّة ویعمّها خیره إن هی أحسنت وامتثلت أمر باریها باتباع سبیلهم، وبقیت مسؤولیة الأمّة فی الاتباع واستثمار هذا اللطف والعنایة الإلهیة التی وضعت هذه الخطّة لقیادة الأمّة وتحقیق خلاصها.

## إثبات ولایة أهل البیت علیهم السلام بالآیة

إثبات ولایة أهل البیت علیهم السلام بالآیة انّ آیة التطهیر تثبت ولایة «أهل البیت» علیهم السلام وتقرّر زعامتهم، بل آیة التطهیر، ص: ۱۵۱ هی بصدد طرح قضیة الإمامة والزعامة ولفت الأنظار إلیها، وإلّا لما کان لإرادة الباریء عزّوجلّ أن تصبّ کلّ هذا الاهتمام وتولّی کلّ هذه العنایة، ولتوضیح هذا المطلب الجوهری نشیر إلی أمرین: الأوّل: رأینا کیف أنّ أمیر المؤمنین علیه السلام استند إلی آیة التطهیر فی إثبات إمامته وحقّه وصلاحیته فی خلافة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی قصّة السقیفة والشوری. وأنّ الإمام الحسن علیه السلام طرح الآیة ولفت الأنظار إلیها فی أوّل مؤتمر عام عقد لإعلان خلافته، أمّا الإمام الصادق علیه السلام فقد قال بشأن آیة التطهیر: «نزلت هذه الآیة فی النبیّ وأمیر المؤمنین والحسن والحسین وفاطمة علیهم السلام، فلمّا قبضَ اللَّه عزّوجلّ نبیّه صلی الله علیه و آله کان أمیر المؤمنین ثم الحسن ثم الحسین علیهم السلام... فطاعتهم طاعة اللَّه عزّوجلّ ومعصیتهم معصیة اللَّه» «۱» . وقد قرأنا فی روایة الحلبی عن الإمام الصادق علیه السلام «۲» أنّه تکلّم فی تفسیر الآیة فتطرّق إلی الإمامة والولایة. ویستفاد من مجموع کلام الإمام أمیر المؤمنین والإمام الحسن والإمام الصادق علیهم السلام أنّ آیة التطهیر إنّما کانت فی معرض بیان حکم الإمامة والولایة، وأنّها تثبته لأهل هذا البیت. الثانی: لقد أوضحنا فیما مضی من البحث أنّ مجموع الآیات التی تحدّثت عن نساء النبیّ صلی الله علیه و آله رسمت المنهج

الذی یجب علیهنّ أن یعملن آیة التطهیر، ص: ۱۵۲ به، وأنّ آیة التطهیر التی تخلّلت تلک الآیات فی مقام التدوین وضّحت موقع «أهل البیت» علیهم السلام، وهذه الصیغة الصریحة فی البلاغ تعکس أهمّیة الموقف وخطورته، فمستقبل الإسلام یفرض أن تعلم زوجات النبیّ صلی الله علیه و آله بتکالیفهنّ ویعملن ویتقیّدن بها، وفی المقابل أن یعلم عموم المسلمین موقع «أهل البیت» علیهم السلام وخصوصیّتهم والدور المناط بهم. إذن هذه الآیات کانت تلحظ وتضع الخطة لمستقبل الإسلام، وهی تحسم أمر عائلة الرسول صلی الله علیه و آله ککلّ فی موقع واحد، فقسم علیه أن یبقی فی الخدر وراء الحجاب، بعیداً عن شؤون السیاسة والدولة، وثلّة خاصّة انیط بها حفظ الإسلام وقیادته وهدایة المسلمین وإمامتهم، وقد أولاهم الباریٔ المدبِّر عزّوجلّ المنزلة الرفیعة وبلغ بهم حدّاً محیّراً وعجیباً من الطهارة والعصمة فی سبیل أن یبقی الدین منزّهاً عن الزلل والخطأ، بعیداً عن التلوّث والانحراف، الذی قد یلحقه به أدعیاء الإمامة ومغتصبو الخلافة من عبدة الشهوات. وقد زوّدهم سبحانه وتعالی بصدور رحبة وهمم عالیة وقلوب منیعة، لیتمکّنوا من الاستقامة والصمود أمام ما ینتظرهم من حوادث مرعبة، ومقاومة الأحداث القاهرة التی ستأتی علی الإسلام والمسلمین، فلا ینثنوا عن مسؤولیّتهم ولا یستسلموا. لقد حباهم اللّه علماً جمّاً وبصیرة نافذة لیمکّنهم من الدفاع عن حیاض دینه والنهوض باحتجاجات ومخاصمات الأعداء ویردّوهم علی أعقابهم خائبین مفحَمین، وبما یمکّنهم من وضع منهج دینی متوافق مع مبادیٔ القرآن الکریم، وبوقوفهم علی أسرار الوحی یمکنهم أن یحیلوا کلّ عسیر من مشاکل الامّة سهلًا یسیراً، ویخرجوا الناس من متاهات الحیرة آیة التطهیر، ص: ۱۵۳ والأوهام إلی نور الحقّ والصواب، ویقدّرهم اللّه سبحانه بما أطلعهم علیه من غیبه من معالجة الحوادث والقضایا برؤیة عمیقة وبصیرة نافذة تحیط بالحیثیّات الظاهرة والخفیّة؛ لیأمن الناس ویسکنوا إلی قیادة واعیة تحقّق لهم الأمن والاستقلال عن السقوط فی مهاوی الغرباء والأجانب، والسلامة والحفظ من ویلات الجهل وعواقب الانحراف، وینهلوا من العطاء المتجدّد الذی یتجلّی فی کلّ عصر وفق مقتضیات الزمان بما لا یمسّ أصالة الدین ونقاء الإسلام المبین. لقد نزّههم اللّه وطهّرهم من جمیع الآفات النفسیة والأغراض والأهواء، وحصّنهم من جمیع الأمراض الروحیة والأخلاقیة حتّی لا یسری شیء من هذه الأخطار إلی الأمّة ویجرّها إلی الفساد فیضمحلّ الإسلام وتزول الشریعة، وحتّی لا یتحوّل قادة المسلمین وزعماء الدین إلی طغاة متعطشین للحکم والتسلّط علی الرقاب، تحدوهم الشهوات وتدفعهم الملذّات لنیل السلطة بالبطش وملیٔ الزنزانات بالمظلومین. نعم، لم یردها اللّه دکتاتوریة منمّقة بأسماء رنّانة واستبداداً یستمدّ ظلمه وطغیانه من عناوین مزخرفة، فتنصب المشانق وتفتح السجون ویُسلب الناس الحریة الفکریة التی هی من أوّلیات الحیاة الکریمة. فمنح القادة الحقیقیّین العصمة وطهّر قلوبهم من الغلّ والحسد والحرص ومن جمیع بواعث الظلم ودوافع الاستبداد.

### ملاحظة

### اشارة

ملاحظة یجب أن نُعید إلی الأذهان أن ما تناولناه بالبحث حول دور النساء إنّما یتعلّق بزوجات النبیّ صلی الله علیه و آله علی الخصوص، وذلک فی الآیات المعیّنة آیة التطهیر، ص: ۱۵۴ التی صدّرنا بها البحث، فقلنا: إنّها ناظرة إلی دور نساء النبیّ صلی الله علیه و آله والمنهج الذی علیهنّ اتّباعه من لزوم الخدر والحجاب، والبقاء فی البیت بعیداً عن القضایا السیاسیة والاجتماعیة، وهکذا عرضنا لخصوصیّتهن بلحاظ الأجر المضاعف الذی ینتظر المحسنة منهنّ، والعذاب والعقوبة المضاعفة التی اعدّت للمسیئة منهنّ ممّا صرّحت به الآیة: لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ «۱» . من هنا فإنّ البحث تعلّق بزوجات النبیّ صلی الله علیه و آله دون غیرهنّ من النساء، أمّا بخصوص دور المرأة المسلمة فی الحیاة الاجتماعیة الإسلامیة فهذا ما لم نتعرّض له، وهو بحث مستقلّ خارج عن نطاق الکتاب ولا تتحمّله هذه العجالة.

### ماذا عن الزهراء علیها السلام، ودورها وموقعها؟

ماذا عن الزهراء عليها السلام، ودورها وموقعها؟ وهنا نختم البحث بسؤال يطرح نفسه: إنّ آية التطهير تحدّثت عن خمسة أشخاص من أولياء اللَّه، اتّخذهم اللَّه وأعدّهم وهيّأهم بالعلم والعصمة والتطهير ورشّحهم لمقام قيادة المسلمين وإمامتهم، وإنّ موضوع بحث الآية هم «أهل البيت» عليهم السلام، وهم خمسة أشخاص، والسيّدة الزهراء صلوات اللَّه عليها وحيدة أبيها وعزيزته هى من هؤلاء الخمسة، فهل كان لها أن تشارك فى أعمال الدولة الإسلامية وشؤون إمامة المسلمين وأن تتولّى زعامتهم؟ آية التطهير، ص: ۱۵۵

### الجواب

الجواب: يبدو أنّ السؤال ما كان ليُثار لو أنّ التدقيق التامّ كان قد اعمل فى البحوث السابقة، إنّ الدراسة لم تطرح ولم تدّع وجود دلالة مطابقية «۱» بين آية التطهير ولزوم القيادة والزعامة لهذه الثلّة المباركة عليهم السلام، بل إنّنا فهمنا من معانى تعابير: الإرادة، الرجس، التطهير، التى وردت فى الآية، أنّ هناك مشيئة ربّانية فى انبعاث وظهور نماذج بشرية خاصّة تتمتّع بمواصفات وخصائص متميّزة، كالعصمة والطهارة وسعة الصدر والعلم، فصل اللَّه بينهم وبين الأرجاس والرذائل، ثم حلّلنا القضيّة على أنّ إرادة البارئ لا تتعلّق بمثل هذا الأمر جزافاً، فلابدّ من حكمة ومصلحة عُليا، ورأينا أنّ ذلك لحفظ الإسلام من التحريف والتزييف وصَون تعاليمه وأحكامه عن التشويه واللبس، وأنّ ذلك لا يكون إلّا عن طريق اناس يتمتّعون بصفات ومواهب خاصّة، يجب أن يكون لهم مقام الصدارة وتُسلّم إليهم مقاليد الزعامة لتأدية هذا الدور. ولم نقل على أىّ نحو: إنّ آية التطهير من أدلّة إمامة «أهل البيت» عليهم السلام بالمفهوم المطابقى حتّى يكون كلّ فرد ممّن ذُكر فى الآية مُرشحاً للإمامة ومندوباً للزعامة فى مستقبل الإسلام، بل كانت الدعوى أنّ مفاد الآية الكريمة يتناسب ومنصب الزعامة والإمامة، من آية التطهير، ص: ۱۵۶ باب أنّ تحلّى تلك الثلّة بكلّ هذه الكمالات لا يصحّ أن يخلو من حكمة وعلّة ترتبط بالإسلام ومسيرته ومستقبله، ودون أن تنعكس هذه الهبات والعطايا الإلهية الجزيلة ل «أهل البيت» عليهم السلام على عموم المسلمين وعلى المجتمع الإسلامى ككلّ، فكان ممّا استفدناه أنّ مسألة الإمامة والقيادة أحد معطيات هذه الآية الكريمة. ولكن هل يفترض فى عائلة كاملة طهّرت ومُلئت علماً وفضيلةً فى سبيل خدمة الدين وحفظ الإسلام، أن يكون جميع أفراد هذه الاسرة زعماء وقادة، أم أنّ الفرض الصحيح فى هكذا حالة أن تكون الاسرة ككلّ مشتركة فى حفظ الدين ومصير الإسلام، مع انفراد كلّ عضو بواجب مستقلّ يتناسب ويُلائم وضعه وحاله؟ إذن علينا أن نتبيّن الدور والمسؤولية الملقاة على عاتق كلّ من هؤلاء الخمسة عليهم السلام. إذا كان البارئ تعالى يريد لكلّ فرد من هذه الاسرة العظيمة المكوّنة من زوجين وابنين- أمّا النبىّ صلى الله عليه و آله فقد كان يقضى الأيّام الأخيرة لعهده وزعامته، إذ نزلت آية التطهير فى أواخر حياته الشريفة صلى الله عليه و آله- دوراً معيّناً وألقى على عاتقهم مسؤولية خاصّة لحفظ الدين، ووهبهم تلك الصفات والخصائص فى سبيل تنفيذها وتمكينهم من حسن أدائها، فإنّ دور الأب والإبنين تحدّد واتّضح: القيادة والإمامة، كلّ فى عصره وزمانه، وقد ذكروا هذا الأمر وأشاروا إليه بأنفسهم فى أحاديثهم استدلالًا بالآية الشريفة، وبقيت مهمّة هذه المرأة العظيمة والدور الملقى على عاتقها. إنّ دور الزهراء عليها السلام قد أفرزته وصنّفته الآية الكريمة أيضاً، فتوزيع آية التطهير، ص: ۱۵۷ الأدوار وتقسيم المسؤوليات الذى يجعل من الزوج والأبناء أئمّة وقادة للدين يفرض على الزوجة والامّ دوراً متناسباً مع هذا الوضع، فالأسرة التى يجب أن يكون ربّها زعيماً والأولاد كذلك كلّ فى عهده، يجب أن تتحدّد مسؤولية سيّدة تلك الاسرة وربّة ذلك البيت- التى تتمتّع بنفس الفضائل والكمالات- بإعداد أبنائها للدور المنتظر، والوقوف خلف الزوج والتعاون معه وتوفير الأجواء الروحية والنفسية التى يتطلّبها النهوض بذلك الدور. فاطمة هى امّ أئمّة الهدى الذين هم الآيات الربانية العظمى التى تتحلّى بأعلى الكمالات البشرية وتتمتّع بقمّة المعنويات الإلهية، والمفترض أن يحافظوا على هذه المراتب إلى الأبد، فلابدّ من درع واقية تحافظ عليهم وتشكّل الحماية الطبيعية لهم، فكانت امّهم الزهراء صلوات اللَّه عليها. فاطمة عليها السلام هى زوج علىّ عليه السلام، زعيم الإسلام وإمام المسلمين الأوّل، ولابدّ من سنخيّة وتقارب فى الرتبة المعنوية والروحية بين الزوجين؛ لتكون الاسرة ناجحة وتتمكّن من العيش السليم وأداء الدور الربّانى والمسؤولية الرسالية على أكمل وجه، من هنا كانت الطهارة

والعصمة وما خلع اللّه على الزهراء عليها السلام من كمال، ضرورة طبيعية لنصرة الدين وتحقيق أهداف الخلافة الإلهية الممتدّة فى ذراريها «۱». آية التطهير، ص: ۱۶۰ إنّ الإرادة الربّانية فى طهارة الأئمّة عليهم السلام لابدّ لها من أسباب، وإحدى أهمّ أسباب تفوّق الإنسان هو طيب مولده وطهارة الحجر الذى ينشأ فيه. أراد اللّه لهم عليهم السلام الطهارة، ولكنّه أراد أيضاً أن يكون منطلقهم فى هذا الطريق هو حجر الامّ الطاهرة، فطهّرها وعصمها. من هذا البيان ندرك مكانة الامّ، ونرى كيف أنّ وجود الامّ مؤثّر حتّى فى أولئك الذين يريد اللّه لهم الطهارة والعصمة، فكان حتماً أن ينشأوا فى الأرحام الطاهرة والحجور المطهّرة، وأن يحظوا برعاية وامومة قمّة فى الشرف والعفّة والعلم والمعرفة، وأن يطووا مراحل الرقى آية التطهير، ص: ۱۶۱ ويتمكّنوا من الانتصار فى السير على الصراط المستقيم ببركة تلك الامّ الفاضلة. وهكذا نستنتج أنّ العناية الربانية التى شملت الزهراء عليها السلام فى آية التطهير كانت أكثر من تلك التى هبطت على بقية المجتمعين تحت الكساء! ولعلّ فى الروايات ما يرمز إلى هذا المعنى، إذ إنّ أكثر الأخبار تشير إلى أنّ فاطمة عليها السلام كانت أوّل الحضور تحت الكساء، وأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله طلب منها استدعاء زوجها وابنيها عليهم السلام. نعم، إنّ آية التطهير سجّلت الإفاضة الربانية على أهل الكساء، وهذا ممّا ترتّب عليه واجبات ومسؤوليات تجاه اللّه والدين والناس، ونعلم أنّ هذه الواجبات الملقاة على عاتق «أهل البيت» عليهم السلام تختلف وتتفاوت من فرد إلى آخر، ممّا يعنى تنوّع الأدوار وإن اتّحدت المسؤولية والتقى الهدف، إذن دور فاطمة عليها السلام الذى تؤدّى من خلاله رسالتها فى حفظ الدين والدفاع عن حياضه هو أن تكون زوجة صالحة لزوجها العظيم، وأن تؤمّن له الأجواء المعنوية وتقف خلفه ليتمكّن من أداء دوره على أحسن وجه. وأن تكون امّاً حنوناً، تفيض عطفاً على أولادها، وليكونوا وهم فى حجرها، فى المكان المناسب والصحيح ليتلقوا الفيض الإلهى من التربية الصالحة التى تمكّنهم من بلوغ الغاية فى الفضيلة والقمّة فى الأخلاق ويحقّقوا ما يريده اللّه لهم. «والسلام على امّ الأئمّة النقباء النجباء فاطمة الزهراء وعلى أبيها وبعلها وبنيها». آية التطهير، ص: ۱۶۲ صفحه سفيد آية التطهير، ص: ۱۶۳

## مصادر التحقيق

مصادر التحقيق ۱- القرآن الكريم ۲- الإتقان، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمّد السيوطى (م ۹۱۱)، المكتبة الثقافية، بيروت. ۳- الاحتجاج، لأبى منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى (م ۵۴۸)، دار النعمان، النجف، ۱۳۸۶ ه. ۴- أحوال الرجال، لأبى إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى (م ۲۵۹)، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ۱۴۰۵ ه. ۵- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّى)، لشيخ الطائفة أبى جعفر محمّد بن الحسن بن على الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰) جامعة مشهد، الطبعة الاولى، ۱۳۴۸ ش. ۶- إرشاد القلوب، لحسن بن أبى الحسن الديلمى (من أعلام القرن الثامن)، مؤسسة الأعلمى، بيروت، الطبعة الرابعة، ۱۳۹۸ ه. ۷- أسباب النزول، لأبى الحسن على بن أحمد بن محمّد بن على الواحدى النيسابورى (م ۴۶۸)، مطبعة أمير، قم، ۱۳۶۲ ه. ۸- الأمالى، لشيخ الطائفة أبى جعفر محمّد بن الحسن بن على الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰)، مؤسّسة البعثة، قم، الطبعة الاولى، ۱۴۱۴ ه. آية التطهير، ص: ۱۶۴ ۹- بحار الأنوار، للعلّامة محمّد باقر بن محمّد تقى المجلسى (۱۰۳۷- ۱۱۱۱)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ۱۳۸۵ ه. ۱۰- البرهان فى تفسير القرآن، للسيّد هاشم بن سليمان الحسينى البحرانى (م ۱۱۰۷ أو ۱۱۰۹)، دار الكتب العلمية، قم. ۱۱- البيان فى تفسير القرآن، للسيّد أبو القاسم الخوئى (۱۳۱۷- ۱۴۱۳)، المطبعة العلمية، قم، ۱۳۹۴ ه. ۱۲- تأويل الآيات الظاهرة فى فضائل العترة الطاهرة، للسيّد شرف الدين على الحسينى الاسترآبادى الغروى (من أعلام القرن العاشر)، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، الطبعة الأولى، ۱۴۰۹ ه. ۱۳- تفسير العيّاشى، لأبى النضر محمّد بن مسعود بن محمّد بن عيّاش السمرقندى (من أعلام القرن الرابع)، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران. ۱۴- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (م ۷۷۴)، دار المعرفة، بيروت، ۱۴۰۶ ه. ۱۵- تفسير القمّى، لأبى الحسن على بن إبراهيم القمّى (من أعلام قرنى ۳- ۴)، منشورات العلّامة، قم. ۱۶- تفسير نور الثقلين، لعبد على بن جمعة العروسى الحويزى (م ۱۱۱۲)، دار الكتب العلمية، قم. ۱۷- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، لجمال الدين أبى الحجّاج يوسف المزى (۶۵۴-

۷۴۲)، مؤسّسة الرسالة، بیروت، الطبعة الأولی، ۱۴۱۳ ه. ۱۸- جامع البیان فی تفسیر القرآن، لأبی جعفر محمّد بن جریر الطبری (م ۳۱۰)، دار المعرفة، بیروت، الطبعة الرابعة، ۱۴۰۰ ه. ۱۹- جواهر البلاغة فی المعانی والبیان والبدیع، لأحمد بن إبراهیم الهاشمی آیة التطهیر، ص: ۱۶۵ (۱۲۹۵- ۱۳۶۲)، نشر حبیب، قم، الطبعة الأولی، ۱۴۰۲ ه. ۲۰- حلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء، لأبی نعیم أحمد بن عبداللّه الإصفهانی (م ۴۳۰)، دار الکتب العلمیة، بیروت. ۲۱- الخصال، لأبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی، المعروف بالشیخ الصدوق (م ۳۸۱)، مؤسّسة النشر الإسلامی، قم، ۱۴۰۳ ه. ۲۲- الدرّ المنثور فی التفسیر بالمأثور، لجلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمّد السیوطی (م ۹۱۱)، مکتبة آیة اللّه المرعشی النجفی، قم، ۱۴۰۴ ه. ۲۳- دیوان حسّان بن ثابت الأنصاری (۵۰ ه)، دار صادر، بیروت. ۲۴- روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی، لشهاب الدین السیّد محمود الآلوسی البغدادی (م ۱۲۷۰)، دار إحیاء التراث العربی، بیروت. ۲۵- سنن ابن ماجة، لأبی عبداللّه محمّد بن یزید القزوینی (م ۲۷۵)، دار الکتب العلمیة، بیروت الطبعة الأولی، ۱۴۱۹ ه. ۲۶- شرح نهج البلاغة، لعزّ الدین أبی حامد بن هبة اللّه بن محمّد بن محمّد بن الحسین بن أبی الحدید المدائنی (۵۸۶- ۶۵۶)، مکتبة آیة اللّه المرعشی النجفی، قم، ۱۴۰۴ ه. ۲۷- شواهد التنزیل لقواعد التفضیل، لعبید اللّه بن عبداللّه بن أحمد، المعروف بالحاکم الحسکانی (من أعلام القرن الخامس)، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامی، طهران، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه. ۲۸- صحیح البخاری، لأبی عبداللّه محمّد بن إسماعیل بن إبراهیم بن المغیرة بن آیة التطهیر، ص: ۱۶۶ بردزبة البخاری (۱۹۴- ۲۵۶)، دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۹ ه. ۲۹- صحیفة نور، مجموعه رهنمودهای امام خمینی، وزارت ارشاد اسلامی، تهران، ۱۳۶۱ ش. ۳۰- الصواعق المحرقة، لأحمد بن محمّد بن محمّد بن علی بن محمّد بن علی بن حجر الهیتمی المکّی (۹۰۹- ۹۷۴)، مکتبة القاهرة. ۳۱- علل الشرائع، لأبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی، المعروف بالشیخ الصدوق (م ۳۸۱)، المکتبة الحیدریّة، النجف. ۳۲- عیون أخبار الرضا علیه السلام، لأبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی، المعروف بالشیخ الصدوق (م ۳۸۱)، دار الکتب الإسلامیة، طهران. ۳۳- غایة المرام، للسیّد هاشم بن سلیمان بن إسماعیل البحرانی التوبلی الکتانی (م ۱۱۰۷) مؤسّسة الأعلمی، بیروت. ۳۴- فرائد السمطین، لإبراهیم بن محمد بن المؤیّد بن عبداللّه بن علی بن محمد الجوینی الخراسانی (۶۴۴- ۷۲۲)، مؤسسة المحمودی، بیروت، الطبعة الأولی، ۱۳۹۸ ه. ۳۵- الفصل فی الملل والأهواء والنحل، لأبی محمّد علیّ بن أحمد بن حزم الظاهری (۳۸۴- ۴۵۶)، المطبعة الأدبیة، مصر، الطبعة الأولی، ۱۳۲۰ ه. ۳۶- فی ظلال القرآن، لسیّد بن قطب بن إبراهیم (۱۳۲۴- ۱۳۸۷)، دار الشروق، بیروت، الطبعة العاشرة، ۱۴۰۲ ه. ۳۷- قاموس الرجال، لمحمّد تقی التستری (۱۳۲۰- ۱۴۱۵)، مؤسّسة النشر الإسلامی، قم، الطبعة الأولی. آیة التطهیر، ص: ۱۶۷ ۳۸- الکافی، لثقة الإسلام أبی جعفر محمّد بن یعقوب الکلینی (م ۳۲۹)، دار الکتب الإسلامیة، طهران، الطبعة الثالثة، ۱۳۸۸ ه. ۳۹- الکامل فی التاریخ، لعلی بن محمّد بن محمّد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشیبانی، المعروف بابن الأثیر (۵۵۵ - ۶۳۰)، دار صادر، بیروت، ۱۳۸۵ ه. ۴۰- کتاب المجروحین من المحدّثین والضعفاء والمتروکین، لمحمّد بن حبّان بن أحمد أبی حاتم التمیمی البُستی (م ۳۵۴)، دار الوعی، حلب، الطبعة الأولی، ۱۳۹۶ ه. ۴۱- الکلمة الغرّاء فی تفضیل الزهراء علیها السلام، للسیّد عبدالحسین شرف الدین (م ۱۳۷۷)، مکتبة الإمام للنشر والدراسات الإسلامیة، بیروت، ۱۴۱۶ ه. ۴۲- کمال الدین وتمام النعمة، لأبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمّی، المعروف بالشیخ الصدوق (م ۳۸۱)، مؤسسة النشر الإسلامی، قم، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۶ ه. ۴۳- کنز العمّال فی سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدین علی المتّقی بن حسام الدین الهندی (۸۸۸- ۹۷۵)، مؤسسة الرسالة، بیروت، ۱۴۰۹ ه. ۴۴- اللهوف علی قتلی الطفوف، للسیّد علی بن موسی بن طاووس (م ۶۶۴)، دار الاسوة، قم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۴ ه. ۴۵- مجمع البیان فی تفسیر القرآن، لأمین الإسلام أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی (م ۵۴۸)، دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۴ ه. ۴۶- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبی الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی (م ۳۴۶)، دار الهجرة، قم، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۴ ه. آیة التطهیر، ص: ۱۶۸ ۴۷- المستدرک علی الصحیحین، لأبی عبداللّه محمّد بن عبداللّه الحاکم النیسابوری (م ۴۰۵)، دار الکتب العلمیة، بیروت، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه. ۴۸- المسند، لأبی

عبداللّه أحمد بن محمّد بن حنبل الشیبانی (۱۶۴– ۲۴۱)، دار الفکر، بیروت، الطبعهٔ الثانیهٔ، ۱۴۱۴ ه. ۴۹– معجم الادباء، لأبی عبداللّه یاقوت بن عبداللّه الرومی الحموی البغدادی (۵۷۴– ۶۲۴)، دار الفکر، بیروت، الطبعهٔ الثالثهٔ، ۱۴۰۰ ه. ۵۰– المعجم الکبیر، لأبی القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی (۲۶۰– ۳۶۰)، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، الطبعهٔ الثانیهٔ. ۵۱– المیزان فی تفسیر القرآن، للسیّد محمّد حسین الطباطبائی (۱۳۲۱– ۱۴۰۲)، مؤسّسهٔ إسماعیلیان، قم، الطبعهٔ الثالثهٔ، ۱۳۹۳ ه. ۵۲– نهایهٔ الحکمهٔ، للسیّد محمّد حسین الطباطبائی (۱۳۲۱– ۱۴۰۲)، مؤسّسهٔ النشر الإسلامی، قم، الطبعهٔ الخامسهٔ عشرهٔ، ۱۴۲۰ ه. ۵۳– نهج البلاغهٔ، للسیّد الشریف أبی الحسن محمّد الرضی بن الحسن الموسوی (م ۴۰۶)، تحقیق صبحی الصالح، دار الاسوهٔ، طهران، الطبعهٔ الثانیهٔ، ۱۴۱۸ ه. ۵۴– وفاهٔ الصدّیقهٔ الزهراء علیها السلام، للسیّد عبد الرزّاق الموسوی المقرّم، المطبعهٔ الحیدریهٔ، النجف، ۱۳۷۰ ه. ۵۵– وفیات الأعیان وأنباء أبناء الزمان، لأبی العبّاس شمس الدین أحمد بن محمّد بن أبی بکر بن خلکان (۶۰۸– ۶۸۱)، دار صادر، بیروت، ۱۳۹۷ ه.

## تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم. مرکز "القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی. - من الأنشطة الواسعة للمرکز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَی ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة

المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان" ومُفترَق "وفائی/"بناية "القائميّة "تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١۴٢٧ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويّة الوطنيّة: ١٠٨۶٠١۵٢٠٢۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتي: www.eslamshop.com الهاتف: ٢۵-٢٣۵٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١) الفاكس: ٢٣۵٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التِّجاريّة و المَبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ امور المستخدمين ٢٣٣٣٠۴۵(٠٣١١) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.


مركز
القائمية
اصفهان
للتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹